

# فخرى أبو السعود

١٩١٠ - ١٩٤٠

حياته وشعره

مع مدح من عصره وإشارات إلى آثاره النثرية

تأليف: عبد العليم القباني





فخرى ابوالسعود

١٩١٠ - ١٩٤٠

حياته وشعره

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

- ١٣٧ -

(٩٢)

تأليف

(٦٧)

أدب

القاهرة

١٣٦٢ هـ - ١٩٧٣ م

من شعراء الإسكندرية

# فريد أبو السعوى

١٩١٠ - ١٩٤٠

حياته وشعره

مع مدائح من عصره وإشارات إلى آثاره النثرية

تأليف : عبد العليم القبانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

لم ينل الشاعر « فخرى أبو السعود » العناية التي يستحقها من الباحثين ، على الرغم من أنه يقف في الطليعة من شعراء جيله ، بل إنه لم ينل من هذه العناية شيئاً على الإطلاق إذا استثنينا بضع مقالات تنقسم بطابع التأبين والوفاء ظهرت عقب وفاته سنة ١٩٤٠ ثم لم يذكره بعد ذلك أحد ، غير الأستاذ « رجاء النقاش » في كلمة عابرة ضمن كتابه تماثيل مكسورة .

كذلك لم ينل نصيبه من الشهرة التي هو جدير بها ، والتي نالها الكثيرون ممن هم أقل منه علماً وأدباً وشعراً .

ولست أدري ما الذي دعا مجتمعه إلى إهماله حياً ، وإلى أن يمحّد آثاره ميتاً ، إلى هذا الحد المريب . قد نرى أن وجوده بالإسكندرية كان من أسباب ذلك ، وقد نضيف إلى هذا ، بعده عن التيارات الحزبية التي كانت ترفع من تشاء وتخفض من تشاء في عصره ، وقد يكون لانطوائته وبعده عن « الشلل » التي كانت تضم الأدباء في الإسكندرية — كما كانت في القاهرة — نصيب من هذا التندر كبير ، ثم قد يكون لحظه بعد ذلك كله ، نصيب أكبر من هذا الذي سقناه ، في أسباب إهمال آثار الرجل الفكرية والأدبية . فقد وعدت « وزارة المعارف العمومية » آنذاك ، بطبع كتابيه « محمود سامي البارودي » و « الخلافة السياسية » وجاء هذا الوعد في كلمة وزيرها بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩ تكريماً للمتسابقين من رجالها الذين فازوا في مسابقتها ، ونال الشاعر عن هذين الكتابين جائزتين رئيسيتين ، غير أن الكتابين لم يريا النور إلى الآن .

كذلك كان الأستاذ « أحمد حسن الزيات » قد وعد بطبع مجموعة المقالات النقدية التي نشرها الشاعر بمجلة الرسالة ، ولكن الظروف التي اعترضت الأستاذ الزيات كانت أقوى من وعده ، فلم يخرج الكتاب إلى عالم المطبوعات حتى هذا التاريخ .

ولم تشهد المكتبة العربية للشاعر « فخرى أبو السعود » غير كتابيه « الثورة العرابية » وقد نشره الشاعر سنة ١٩٣٤ عند تعيينه بالمدرسة العباسية و « تس . سليمة آل دريرفيل » وهو قصة ترجمها عن « توماس هاردى » ونشرتها لجنة التأليف والترجمة وحفظ التراث في سلسلتها « عيون الأدب الغربي » .

وعلى الرغم من الكثرة الكثيرة من المقالات والقصائد التي نشرها الشاعر بمجلات الرسالة والثقافة والحلال والمقتطف وغيرها ، وبصحيفة الأهرام ، فإن أحدا لم يهتم بكتابة دراسة وافية عنه ، مع أن أغلب أشعاره وكتابات كانت من الطراز الأول .

والذي أقدمه اليوم — في هذا الكتاب المتواضع — هو أول عمل أدبي يتناول حياته وشعره ، وقد لجأت — لكي يحقق هذا العمل هدفه — إلى ما وصلت إليه يدي من مقالاته وأشعاره وإلى القليل الذي كتبه عنه زملاؤه وإلى ما سمعت عنه من معاصريه ، والذين عاشروه بحكم الحوار ، أو بحكم العمل . ، وإلى ذاكرتي في قليل من الأحيان .

وبدأت البحث بأن بينت في إيجاز ، المبررات التي جعلتني أعتبره من شعراء الإسكندرية بالوفادة ثم تكلمت عن لقاء الأول والأخير له ، وتناولت بعد ذلك حياته وشعره في بحث خاص سميت به « مع الشاعر في مأساته » اعتمدت فيه على المصادر السابق ذكرها ، وعلى ما استنتجته من شعره ومقالاته منذ سفره إلى إنجلترا ، وعودته منها إلى الإسكندرية ، وإقامته بها حتى أدركته منيته باذلاً أقصى ما أملك من جهد ، في بيان التطورات النفسية التي عاناها الشاعر والتي انتهت بمصرعه . ثم تكلمت



في فصل ثان عن اتجاهاته الشعرية ، فقسمت شعره إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية ، وهي الشعر الوطني ، والشعر الوجداني ، والشعر الوصفي ، ومهدت للحديث عن شعره الوطني بعرض موجز للحالة السياسية في مصر على أيامه ، واستشهدت ببضعة نماذج من شعره ، مبينا الظروف السياسية الموحية لكل أنموذج .

والحق إن وطنيته وحبه لبلاده ، ولعرويته ، قد تجلى في هذا الجانب من شعره إلى الحد الذي يثير الإعجاب ويبعث على التقدير . كذلك مهدت للحديث ، عن شعره الوجداني ، بكلمة عن الشعر الذاتي ، وضرورته إلى جانب الشعر الموضوعي ، ولما كان الفصل الأول الذي خصصته عن حياته وشعره قد استوعب الكثير من نماذج شعره الوجداني فلن لم أشأ الإطالة في هذا الفصل ، واعتبرت أن ما سبق أن أوردته ، يكفي في هذا المجال ، ومن هنا رأيت أن أختصر في هذا القسم من الفصل ، على الحديث عن المرأة في شعره وما لها من أثر عليه ، وعلى حياته أيضا .

وأما الشعر الوصفي فقد بدأته بتمهيد يبين رأى الشاعر في الشعر الوصفي ، مع تعليقات أضفتها إلى أقواله ، ثم استشهدت بنماذج من شعره معلقا عليها بما يساعد على إيضاها .

وكان الفصل الثالث من هذا البحث عبارة عن مختارات من شعره ، إذ رأيت أن أجمع في هذا الفصل طائفة من قصائده التي قد يشوهدا البتر والتي تمثل — في نظري — أكمل ألوان فنه الشعرى ، وإذا كان لا شيء هناك يدل على الشاعر كما يدل عليه شعره ، فقد رأيت في هذه القصائد — التي اخترتها هنا — أكمل أداة تعريف بالشاعر .

وكان الفصل الرابع والأخير عبارة عن مختارات من أقوال الشاعر النقدية ، ولم أشأ الإطالة فيها ، وإنما اكتفيت ببضعة نماذج قصيرة تكفى لبيان الغرض المطلوب وإلا فإن الكتابة عن فخرى أبوالسعود

كناقد ، ومؤرخ للأدب ، وباحث في التاريخ والاجتماع ، ومترجم  
من الطراز الأول ، محتاج إلى كتاب آخر .

ثم أجملت حياة الشاعر في سطور قليلة أنهيت بها الكتاب تسهيلا  
لمن يريد الإلمام السطحي العاجل بالشاعر وحياته .

وبعد فإن الثلاثين سنة التي عاشها « فخرى أبو السعود » كانت  
شجرة مباركة أثمرت الكثير . . وأل من ثمراتها « هذا الكتاب »  
الذي أقدمه لقراء الأدب العربي بعامة ، والشعر بخاصة ، والذي  
أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، إلى الحد الذي يرضى الأدب ،  
ويرضى الوفاء أيضا للرجل ، الذي وهب فنه وعلمه وأدبه لأمته .  
ثم مات فلم ينصفه جيله . . ولا زمنه .

وما توفيقى إلا بالله . . عليه توكلت ، وإليه . . أنيب .

عبد العليم القباني

الإسكندرية

## فخرى أبو السعود والإسكندرية

إن الصلة التي تربط بين « فخرى أبو السعود » وبين « الإسكندرية » ، وثيقة إلى حد كبير ، فهو — وإن كان — قد أمضى الشطر الأكبر من حياته القصيرة في القاهرة إلا أن نضوجه الفني ، نما وأتى ثماره بالإسكندرية .

والذى يتتبع حركات التطور الفني عند « فخرى أبو السعود » يرى أن طاقته الفنية ، تفتحت الى حد ما في أثناء إقامته بانجلترا عضوا في بعثة « وزارة المعارف » التعليمية للدراسة اللغة الإنجليزية ، حيث راح يبعث — من هناك — بقصائده إلى مجلة الرسالة ابتداء من أعداد عامها الأول سنة ١٩٣٣ حتى إذا عاد من البعثة ، وعين فورعودته في أواخر أكتوبر سنة ١٩٣٤ (١) مدرسا للغة الإنجليزية بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية ، بدأ يفيض على الرسالة بالغزير من إنتاجه ، إلى الحد الذى كاد الناس يتوقعون فيه — أن يقرعوا له قصيدة جديدة أو بحثا أدبيا في كل عدد من هذه المجلة ، وظل كذلك حتى اختلف مع الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فاتخذ من مجلة الثقافة ، وبعض الجلات والصحف الأخرى ، منابر لقصائده وبحوثه الأدبية .

وقد ظل الشاعر في الإسكندرية ، يعمل في ميدانها العلمى والأدبى

---

(١) نشر أول قصيدة له بعد عودته الى الوطن بالرسالة الصادرة في ٢٩ أكتوبر ١٩٣٤ وكان عنوانها لا تياموا وفي عدد الرسالة الصادر في ١٧ ديسمبر ١٩٣٤ نشر اعلان عن كتاب الفتوة المراسية لفخرى أبو السعود المدرس في العباسية بالإسكندرية ، فإذا حسينا للمدة التي استغرقها طبع هذا الكتاب يتبين لنا أنه عي في التاريخ المذكور تقريبا . هنا وقد لجأت الى سجلات مديرية التعليم بالإسكندرية وكذلك سجلات المدرسة فلم تستطع أى منهما تحديد ذلك اليوم .

حتى استوفى آخر نسمة من نسمات حياته ، وأسلم روحه على أرضها ،  
في دار من دورها الأنيقة الصغيرة المنتشرة بحى الرمل .

ونحن لانقول إنه نبع في الشعر فجأة ، كما يروون عن النابغة القديمة  
مثلا ، إذ أننا أميل إلى الاعتقاد بأن العمل الفني المتكامل لا يصدر طفرة عن  
فراغ مطلق ، بل لابد له من جنور تنميتها عوامل شتى من أهمها  
الموهبة والممارسة .

وإذن فلفخرى أبو السعود شعر نظمه بالقاهرة ولكنه كان من القلة  
وعلم النضج بحيث لم يعتد به فخري نفسه ، فلم يعمل جادا على نشره ،  
وكنك لم يشر إليه واحد من أصدقائه القليلين الذين كتبوا عنه كلمات  
متناثرة في بعض المجلات عقب وفاته .

ومن هنا ربطنا إنتاجه الأدبي بالإسكندرية وأدخلناه في زمرة السكندريين  
بالوفادة .

أما الحديث عنه ، وعن شعره ، فطويل وذوشجون ، وأعتقد  
أنى أودعت في الصفحات القليلة التالية ، ما يمكن أن يكون بداية  
خيط ، لمن يريد أن ينسج قصة هذا الشاعر الذى لم ينصف نفسه ولم ينصفه  
زمانه ، وإنما عاش منذرا بلاصدي ، وداعية ليس له من مجيب .

## الفصل الأول مع الشاعر في مأساته



حدث هذا الذى أرويه فى منتصف أكتوبر من سنة ١٩٤٠ ، وكنا على موعد مع حفل أقامته إحدى الجمعيات الأدبية بالإسكندرية ، تخليداً للذكرى وفاة المسرحى القصاص الشاعر المرحوم محمد تيمور (١) ففى مغرب ذلك اليوم ، توافدنا على نادى موظفى الحكومة بمحطة الرمل ، حيث أقيم الاحتفال ببقائه الكبرى ، التى غصت بمجهور كبير يمثل مختلف الاتجاهات الفكرية والطبقات الاجتماعية فى ذلك العهد . وليتها تتابع الخطباء والشعراء على المسرح ، يشيدون بذكرى ذلك العبقري الشاب الذى سبق جيله ثم لم يمهله الموت فأصبح مجرد ذكرى .

وجاء دور الشاعر الأستاذ فخري أبو السعود «مدرس اللغة الإنجليزية بمدرسة الرمل الثانوية ، ليلقى قصيدته التى أعدها لهذه المناسبة . . وكان مطلعها : إن لم تخفى الذاكرة .

حيا الخلود محمداً تيمورا      قد كان روضاً للفنون نصيراً

وهو - فيما أرى - مطلع عادى ، لا يمكن أن يثير انتباه أحد من السامعين ولم يستطع الشاعر كذلك أن يشد اهتمام المستمعين إليه ، بفخامة الإلقاء أو بالنبزات الصوتية المعبرة ، تلك التى يمكن أن يلمس الناس فيها أحاسيس الشاعر نحو الفقيد الكريم ، فقد كان صوته ساعته ، آلياً ، لاحتس فيه نبضة حياة .

---

(١) محمد تيمور ١٨٩٢ - ١٩٢١ ولد بالقاهرة وسافر وهو فى العشرين إلى فرنسا لدراسة القانون وعاد فى بداية الحرب العالمية الأولى وانصرف إلى المسرح متأثراً بالذهب الواقعى فألف عدة مسرحيات التى منها أو برت المثرة الطبية وله مجموعة شعرية نشرت بالمجلات ولم تخرج فى ديوان بعد كما نشرت له مجموعة قصصية بعنوان « مآثره العيون » وهو شقيق الكاتب القصصى المعروف « محمود تيمور » .

كان الشاعر : يلقى قصيدته في تلك الليلة ، وكأنما يريد أن يسبق ألفاظها ، إنه لا يكاد يسترد أنفاسه ، بل إن الكلمات توشك أن تتساقط من فمه قبل أن يتم تكوينها . .  
وهكذا لم ينقص أكثر من دقيقة واحدة ، حتى كان الشاعر في واد ، والمستمعون إليه في واد آخر .

## - ٢ -

لم ألتق بالأستاذ فخرى أبو السعود قبل ذلك ، وكذلك لم أستمع إليه وهو يلقى شعرا غير هذه المرة ، برغم أنه وفد إلى الاسكندرية قبل هذه الليلة بأكثر من ستة أعوام ؛ على أنى كنت قد قرأت له مجموعة كبيرة من شعره الذى كان ينشره في مجلة الرسالة ؛ وقد كان في أغلبه - مجيدا في معانيه وصوره - فياضا بالإحساس الصادق وإن كان ينقصه شيء من الإشراف ورخامة الجرس وطلاوة التركيب فهو يتمنى بحسب رأيي إلى مدرسة العقلانيين في الشعر وقد يؤيد هذا ، رواية زملائه ، من أنه كان يفضل العقاد على شوقي في الشعر (١) لكن أكثر الأصدقاء من الشعراء كانوا يذكرون اسمه دائما مقرونا بالإجلال والإكبار فهو عندهم شاعر ممتاز ذو ديباجة عربية سليمة . تكاد تصل بأسلوبه إلى طرائف الشعر في عهده النهدي أيام العباسيين .

كذلك قالوا إنه مجدد في أفكاره وأخيلته ، خلاق مبتكر فيهما ، وأن بعض الألوان التجديدية التي يضيفها على شعره لاتعرفها بيتنا العامة ، وأنه متأثر فيها إلى حد ما بالفترة التي أقامها في إنجلترا ، وقالوا أيضاً إن هذه الألوان ، تشبه إلى حد ما كذلك ، مالا لشاعرين عبد الرحمن شكرى (٢) وأحمد زكى أبوشادى من منهج في التجديد .

(١) انظر احمد فتحي مرسى في مقاله بالرسالة ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ .

(٢) كان فخرى أبو السعود مدرسا بالمهاسبية الثانوية بالاسكندرية في الوقت الذى كان عبد الرحمن شكرى ناظرا لها ويمكن أن يكون قد تأثر به . وهناك وجه للمقارنة بين قصائد « فخرى أبو السعود » الموت والجسمانية وغيرها من القصائد المثبتة في المختارات وبين قصائد شكرى « الموت » ص ٥٤٧ « هو عند رؤية جسمانية » ص ٦٥٦ وغيرها من الديوان الشامل



وكذلك قالوا إنه مكث في شعره إكثاراً لا يجاريه فيه إلا القليل وإنه مجيد رغم هذه الكثرة في أغلب ما ينشره على الناس . . وإن صفحات مجلة الرسالة من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٣٧ ومجلة الثقافة بعد ذلك ، لتحفل بهذه الكثرة من القصائد الفريدة الجيدة .

وقليل من هؤلاء الشعراء من كان ينقص من فنه ، فيزعم أنه «أى فخري» يعمد إلى القصائد الإنجليزية ، غير ذات الشهرة ، فيترجمها نظماً في بيان عربي لا ريب فيه ، فلا يشك الناس في أنه خالفها ، وأنه كان لا ينسبها إلى صاحبها إلا إذا كانت من المشهورات مستلدين على ذلك ببعض القصائد التي لا تتفق أجزاء من تركيباتها الفكرية أو صورها الحسية مع بيتنا الفكرية أو الطبيعية (١) ، ويستنلون في بث هذا الاتهام أيضاً إلى ما هو معروف عن دراسة الشاعر العميقة للأدب الإنجليزي شعره ونثره ، وربما ساعده على ذلك معرفته بأن الغالبية من القراء يجهلون دقائق هذا الأدب .

وهو اتهام واستناد يقوم كل منهما على السفسة أكثر مما يقوم على المنطق ، وقد نسي هؤلاء أن الرجل عاش خارج بلاده فترة الطق ، وقد أثرت بطبيعتهما - ولا شك - في تكوينه الفني ، ومن هنا كان لابد من وضوح أثرها في بعض النظم التي قام بنظمه ، من أشعار ، متأثراً بالدراسة وبالطبيعة في آن ، وأنه ليس ثمة ما يدعو إلى تشويه سمعته الأدبية وقد أثبت - بالدليل القاطع - جدارته في قصائده العربية الخالصة السمات والظلال .

### - ٣ -

وأجمع الأصدقاء من الأدباء ، على أنه أديب مثقف واسع الاطلاع ، ودليلهم على هذا سلسلة من المقالات القيمة نشرها في مجلة الرسالة ،

---

(١) انظر على سبيل المثال بعض صور الطبيعة في ضيعة الشعر وقد نظمها بالاسكندرية ضمن المختارات وخصيصة الغروب على الخليج ، بالثقافة ٢٦ سبتمبر ١٩٣٩ وخصيصة الجبال بالثقافة ٢١ نوفمبر ١٩٣٩ .

فاحتلت مكانها على صفحات عديدة ، من أغلب أعداد النصف الثاني من سنة ١٩٣٦ والنصف الأول من سنة ١٩٣٧ تقريباً ، وتقوم هذه المقالات على المقارنات الجادة بين الأدبين الإنجليزي والعربي ، تفحص « فخرى أبو السعود » فيها كل وجوه المقارنة تقريباً من حيث الشعر والأدب وفنونهما والبيئة وتركيبها والسلوك الدينى والاجتماعى إلى غير ذلك من نواحي المقارنة ، وأثر كل ذلك ، فى الإنتاج الفنى والأدبى عند الفنانين والأدباء فى كلا الشعيين .

هذا إلى مقالات عديدة فى مجلة الثقافة ، تناول فيها بعض شخصيات الأدب الانجليزى بالدراسة والتحليل ، وكذلك مقالات فى مجلتى الهلال والمقتطف ، تلور حول عديد من المشكلات الأدبية والاجتماعية وتتناول النواحي التاريخية فى بعض الأحيان .

ومن أدلتهم كذلك أنه ألف كتاباً جيداً عن الثورة العربية ، التى كان يؤمن بأبطالها إيماناً لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد نزع عنها - فى هذا الكتاب - سدولا من الظلمات التى حاول المستعمرون وأذئابهم إحاطتها بها ، حتى تحجب حسناتها عن أعين المنصفين والباحثين عن الحقيقة .

كما أنه فاز بجائزتين رئيسيتين من وزارة المعارف لقاء تأليفه لكتابين أحدهما عن الخلافة والسياسة ، والثانى دراسة عن محمود سامى البارودى الذى قيل إن الشاعر يحفظ ديوانه ومختاراته (١) .

ومن أدلتهم كذلك ، على تمكنه من امتلاك ناصيتى لغتى الإنجليز والعرب ، تعريبه الدقيق لرواية ( تس - سلية ديرفيل ) لتوماس هاردى ، وقد نشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر فى أول حلقة من سلسلتها « روائع الفكر الغربى » ومن المعروف ، أن أعضاء هذه

---

(١) مختارات البارودى كتاب فى أربعة مجلدات جمع فيه البارودى طائفة من أجود الشعر فى العصر العباسى .

اللجنة ، كانوا من أئمة رجال الأدب في مصر ، وأنها كانت لا تعنى إلا بالجلاد من المؤلفات والمترجمات .

#### - ٤ -

وإذن فقد كان الرجل في ذهني ، قبل أن أحضر هذا الحفل ، عملاقاً من عمالقة الشعر والأدب ، على الرغم من أنه لم يتجاوز الثلاثين من عمره إلا بأشهر معدودات ، وعلى أساس من هذه الصورة التي كونتها في ذاكرتي ، أعددت نفسي وهيأت وجداني ، للاستماع إليه ، ولم أكن أتوقع أبداً ، أن أشهد في ليلتي هذه ما شهدت ، لقد بدأ الرجل على خشبة المسرح مكلوم النفس ، مهزوم الروح لا يحمل صوته تعبيرا ما ، كانت عيناه زائفتين ، لاستقران على هدف بعينه ، كذلك كان الذهول يسيطر على أعصابه ، فتبلو إشاراته أمامنا بلهاء ساذجة .

ترى أى مشاعر تلك التي ثارت في أعماقه ، ثم استبدت به استبداداً ملك عليه تصرفاته ، وما لبثت حتى امتصت حرية سكناته وحركاته ..

وقبل أن أجد الإجابة على هذا السؤال ، كان الشاعر قد انتهى من إلقاء قصيدته ، ولم يشعر الجمهور بإنتهائه منها إلا بعد بضع خطوات ، خطاها الشاعر في طريقه إلى التزل من على خشبة المسرح وكان الشاعر يسرع في مشيته ، كأنما ألقى بعبء كان يثقل كتفيه ، ولكن جبهته اصطدمت بالباب الخائبي للمسرح .

واحتبست الضحكات في بعض أفواه الجالسين ، فالحفل حفل ذكرى لفقيد كريم ؛ لا يجوز أن يسوده غير الرصانة والحلال ، وإن كان قد مضى على وفاة هذا الفقيد - يومئذ - ما يقرب من عشرين عاما .

#### - ٥ -

ومرت بعد ذلك أيام قليلة لا تزيد على العشرة ، ثم فاجأتنا الصحف والمجلات وهي تحمل نبأ انتحار الشاعر .

أجل فقد انتحر ، فخرى أبو السعود ، بأن أطلق رصاصة من مسدسه على رأسه وهو مستلق في استرخاء على كرسي طويل ، بحديقة داره الصغيرة برمل الاسكندرية ولم يجد الذين استقدمهم صوت الرصاصة إلى حيث جثته غير ورقة صغيرة ملقاة أمامه ، ومكتوب عليها بيت زهير بن أبي سلمى بعد تحويره إلى :

مشمت تكاليف الحياة ومن يعش (ثلاثين) حولاً لأبالك يسأم<sup>(١)</sup>

إذن فقد بلغ الكتاب أجله ، ولم يبق في قوس الصبر مترع كما يقولون ، وإذن فإن الصورة الأخيرة التي رأيتها للرجل ، والتي وعثا ذاكرتي إلى الآن ، كانت صورة الرجل الذي كان قد مات قبل أن يموت . .

لقد كان الرجل ليلتها على المسرح دمية تحركها أيد خفية . . كان جسدا آدميا له صوت وصلى ، مجرد صوت وصلى ، أما روحه وعقله ومشاعره ، أما هذه جميعا ، فقد كانت هناك بعيدا .. بعيدا جدا .. في عالم جد مجهول . .

## - ٦ -

وتناثرت الأقوال تحاول أن تكشف ما يحيط بمصرع الشاعر من أسرار ، وأن تنتزع بعض أستار الغموض المسدلة على جوانبه ، وكان منها : أن طفله الوحيد الذي لم يتجاوز السادسة بعسا ، والذي صحب

---

(١) نشرت مجلة الرسالة بعدد رقم ٢٨٢ الصادر في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ صفحة ١٩٢٩ تفاصيل هذا الحادث بما لا يخرج في مضمونه عن ما رويناها وجاءت بعض هذه التفاصيل في مقال للدكتور زكي نجيب محمود نشره بمجلة الثقافة صفحة ١٠ من العدد ٩٦ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠ وكذلك أورد بعضها الأستاذ محمد عبد الفنى حسن في كتابه أعلام من الشرق والغرب ص ١٣٤ في حديثه عن فخرى أبو السعود وكان هذا الحديث مقالا نشره الأستاذ في مجلة الثقافة العدد ٩٨ الصادر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ على أنه ذكر في مقاله أنه توفي في نوفمبر والواقع أنه توفي في صبيحة ٢١ من أكتوبر ( راجع تمي الأسرة في الأهرام الصادر ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ ) وتثبت هنا أن أسرته ذكرت في النعي أنه أصيب برصاصة خاطئة من مسدسه وهو يريد اصلاحه محاولة منها الى ابعاد تهمة الانتحار عنه لكن الواقع الملموسة تثبت انتحاره كما ترى .

أمه الإنجليزية في رحلة إلى إنجلترا ، حالت بينه وبين أبيه الحرب العالمية الثانية ، تلك التي تفجرت حممها في أواخر عام ١٩٣٩ .. ثم كان ما هو أفسى من ذلك وأنكى ، إذ جمعت إنجلترا فريقا من أطفالها وبعثت بهم على سفاتها إلى « كندا » لتبتعد بهم عن شرور الحرب وويلاتها في الجزيرة المستعرة ولكن الغواصات الألمانية ، راحت تطارد هذه السفن ، حتى أغرقت بعضها ، وابتلع المحيط إحداها ، بما تحمل من فلذات أكباد ، كان من بينها طفل الشاعر .

وكذلك انقطعت أخبار الزوجة .. فلم يعد زوجها يسمع عنها شيئا ، برغم رسائله المتكررة إليها وبرغم استعانته بكل الوسائل الممكنة (١) .

وهكذا أصبح « فخرى أبو السعود » وحيدا في داره ، مشرد اللب ، منهوب الوجدان تلاحقه الأشباح ، وتضطرب به الأوهام ومن ثم استقر رأيه على أن يختم رحلة الحياة الدنيا وكان أن أطلق في صبيحة يوم ٢١ من أكتوبر ١٩٤٠ هذه الرصاصة على رأسه فمات .

#### - ٧ -

كانت هذه الأقاويل ، مما جرى على السنة الناس أيامئذ ، وما تناقلته الصحف والمجلات وحى تروى أنباء ذلك الحادث الأليم . وهو حادث فاجع كما ترى يمس القلوب فيحرق شغافها ، ويستمتع إليه العقل فيشفق من قسوته ، ويحاول أن ينكر منه بعض التفاصيل .

فهل كانت هاتان الفاجعتان سر مأساته ؟ أم كانتا القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون ؟

---

(١) نقلت هذه الأقاويل كل المراجع التي سبق الإشارة إليها في التعليق على الهامش السابق .

إن أمامنا شعر الرجل ، ويمكننا ، أن نجد فيه ، بلا عناء  
كثير ، صورا من أحاسيسه ، وما كان يشغل فكره ، من مشكلات  
أعجزه أن يجد لها حلا . . فإن الرجل - فيما نرى - كان واضحا ،  
كأنصع ما يكون الوضوح ، وكان خلقه يأبى الرياء الاجتماعي ؛  
ولا يميل إلى النفاق ، في زمن كان للرياء والنفاق فيه سوق كبير ،  
وتجارة رابحة ، استغلها الكثيرون ، والذي نصل إليه من قراءتنا  
لشعره ، ونستخلصه من أقوال أصدقائه القليلين فيه ، أنه كان !  
يأخذ نفسه بالجد الصارم ؛ ويتعد بها عن سفاسف الأمور وينقدها  
أمر النقد وأعنفه وهو يقول في ذلك :-

إني وقد صنت نفسي أن يؤدبها      سوى يلقى إليها الوعظ والننرا  
أسمى عليها رقبيا ساهرا      عمرى وأضحى حسيا مغلظا عسرا (١)  
كما دار حول هذا المعنى في عديد من قصائده وعلى سبيل  
المثال نستشهد بنموذج آخر من قصيدته « رقيب » (٢)  
يقول فيه :-

أنا لى رقيب يا قظ لا يغفل      يحصى وينقد ما أقول وأفعل  
هو بالنسكير على عمرى مولع      وبطول إيلام الفؤاد موكل  
يحصى الذنوب على غير مبرئ      وينابع الأخطاء لا يتمهل  
إن أكب في غرض صليت بعذله      دهر ؛ ولا عنر لديه يقبل  
نفسى على نفسى رقيب يا قظ      يحصى على نفسى لا يغفل

وفي القصة التالية التي يرى فيها الدكتور « زكى نجيب محمود »  
دليلا واضحا على شخصية « فخرى أبو السعود » وهو في مطالع  
شبابه ، ويرى أنه في هذه الصورة كان متهاسا للتكوين الفكرى ؛

---

(١) من قصيدة نجح واختلق العدد ١٥٧ من الرسالة الصادرة في ٦ يوليو ١٩٣٦

ص ١١-٨ .

(٢) الثقافة ١٨ أغسطس ٣٩ ص ٤٥ .

لا يتراجع عما اقنع به من أنه الأصوب ، حتى ولو اضطره الأمر أن يقف وحده ؛ وأن يتحدى كل المجموعة التي تحيط به ؛ وهي مخالفة لإياه في وجهة نظره ؛ ويقول الدكتور « زكي نجيب محمود » في مقاله هذا وقد نشره بالثقافة عقب وفاة الشاعر مباشرة :

« منذ أربعة عشر عاما كنا نطلب العلم في مدرسة المعلمين العليا وكنت أسبقه في الدراسة بعام ؛ وقرر الأساتذة في غضون السنة ؛ أن يختبروا الطلاب فيما علموهم ؛ وأبى الطلاب إلا أن يترك حبلهم على الغارب ؛ حتى نهاية العام ؛ وأجمع على ذلك ما يقرب من نصف ألف من الطلاب ؛ إلا واحدا استوحى صوت العقل ؛ وربأ بنفسه أن يفسق مع الجماعة انسياق الشاة في القطيع ؛ وجلس وحده في بهو الامتحان يئيب ؛ ووقف ماثت من الطلاب في الفناء ؛ كأنهم الذئباب ؛ يرقبون من الأبواب والنوافذ ؛ هذ المارق العاصي ؛ وإن هي إلا ساعة وبعض ساعة ؛ حتى أقبل ذلك الواحد ؛ إلى حيث القطيع الذي التفت به ؛ يرحمه بألفاظ غلاظ ويشوبه بالسنة حداد ؛ وهو يلور ببصره فيهم لا ينطق ولا يجيب ؛ وأشهد أنني هتفت في نفسي حين رأيت هذه الإرادة العاقلة ؛ ثابتة كأنها الطود الراسخ والله إنه لرجل والرجال فينا قليل . . ولم يكن عجباً أن أقرأ بعد ذلك بأعوام لهذه النفس الجادة الحازمة صرخة توجه إلى بني مصر في قصيدته : ( إلام تغيب الشمس عنا وتطلع ) (١) . . ذلكم هو المرحوم « فخرى أبو السعود » كما أبصرته أول مرة ، ولم يكن حبل الصداقة قد ألف بين قلوبنا (٢) .

ويقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه « أعلام من الشرق والغرب » إنه كان زميلاً للأستاذ « فخرى أبو السعود » في إنجلترا إذ كانا معاً عضوين في بعثة واحدة لوزارة المعارف وإنه رأى

(١) القصيدة ضمن المختارات .

(٢) العدد ٩٦ من الثقافة الصادرة في ٢٩ أكتوبر ١٩٤٠

أن أخلاقه وفخره كانت من ذلك النوع الصلب الذي لا ينكسر على زمن ، وإنه رأى فيه عزوفا عن الفضول من القول (١) .

## - ٨ -

وكما نرى في هذه الروايات أن الرجل كان جادا في حياته ، لا يعرف اللتواء ؛ قليل الفضول ؛ لا يعنى إلا بالنافع من الأمور ، ورجل هذه صفاته ، قد يبعد بنا عن مظنة وجود جنور مأساوية في حياته ؛ يمكن أن تتكاثر ؛ وأن تغلب عليه ؛ ومن ثم تدفعه إلى الانتحار ؛ وقد تبعد بنا بعض الصور التالية كذلك عن هذه المظنة ؛ ولكنى أعتقد أننا بعد أن نستعرض معا هذه الصور سننتهى إلى هذه الجنور ؛ أو على الأقل سنقترب منها .

يقول الدكتور « زكى نجيب محفوظ » وهو يكشف لنا عن جانب من حياة « فخرى أبو السعود » اليومية ... إنه كان يصحو في الصباح الباكر ؛ فيعدو ساعة أو ساعتين في شارع الكورنيش ؛ ويعود إلى داره فيتناول طعام إفطاره ؛ ثم يقصد إلى المدرسة ؛ يباشر واجبه في إخلاص محمود فإذا خلت له ساعة من ساعات الدرس ، أسرع إلى ملعب التنس ؛ يملأ فراغه لعبا ؛ ثم لا يكاد يفرغ من عمله ؛ حتى تراه يعلو علوا إلى البحر يسبح بين أمواجه ؛ فلن أقبل المساء ، أوى إلى داره ؛ وأخذ يطلع حتى ساعة متأخرة من الليل ؛ وكانت زوجته الإنجليزية ؛ تشاركه اللعب والسباحة والقراءة ؛ فقد كانا زوجين اثنا في نغم جميل ؛ يعجبها ما يعجبه ؛ وتميل إلى ما يميل إليه ؛ وبلغا من هذا الاتساق العجيب حدا بعيدا ؛ حتى حرما على نفسيهما معا منذ أعوام ؛ أكل اللحم بكافة صنوفه والاكتفاء بأكل الخضر ٠٠٠ (٢)

## - ٩ -

والصورة التي عرضها علينا الدكتور « زكى نجيب محمود » متوالية

(١) ص ١٣٥ والكتاب من نشر دار الفكر العربي سنة ١٩٥٠ .

(٢) مقال الدكتور زكى نجيب محمود السالف الذكر .



الحركات حقاً ؛ ليس فيها فراغ فعلاً ؛ ولكننا نرى أنها كلها لجانب واحد ؛ إذا اعتبرنا زوجه مكملة له ؛ أى أنه ليس للآخرين فيها من أبناء هذا المجتمع الطويل العريض نصيب ، فلا لقاعات تشغل من اهتمام شيئاً ، ولا صلداقات تحتص ما قد يشعر به من مفض في هذه الحياة ، بل انزواء وراء ظلال متحركة وقد يدل هذا على انطوائية أصيلة عند فخرى ، انطوائية صادرة عن قلة ثقته بنفسه ، أو قلة ثقته بالآخرين ، ومن هنا بعلت مشاعره عن مشاعر الجماهير العامة ، فلم يشاركهم مرحهم ، ولم يبادلهم وجهات نظرهم المختلفة إلا في القليل النادر ، إلا فيما تضطره ظروف حياته الوظيفية أو المعيشية إليه .

يقول الأستاذ « أحمد فتحى مرسى » فى مقال له نشره بمجلة الرسالة :

إن « فخرى » رحمه الله كان يؤثر السير على الجلوس ، وكان شديد النفور من المجتمعات ، ولا أذكر أننى رأيته فى مقهى أو منتدى ، ولعل ذلك هو السبب فى سعة اطلاعه ، فقد كان يقسم وقته بين التريض والقراءة والكتابة ، والظاهر أن ذلك يرجع إلى طبيعته الهادئة ، فقد كان يكره الضجة ويتجنب الناس (١) بل يؤكد الأستاذ « أحمد فتحى مرسى » جانب الانطوائية هذا فيؤكد أنه امتد أيضاً بالوئاة إلى طفله ، ثم يروى لنا القصة التالية فيقول :

« وحتى طفله ؛ يبدو لى أنه ورث عنه هذه الميزة . . فكان ينفر من الغريب ويتبعد عن الناس ؛ أذكر أنه تركه معى مرة وذهب لبعض شأنه فجعل الطفل يصرخ ويبكى ، ويتملص منى ليجرى ، وعشنا حاولت تهدئته ولكنه لم يهدأ حتى عاد والده فسار إلى جانبه مبتعداً عنى . ويعود الأستاذ أحمد فتحى فيتطرق إلى قلة الثقة التى كانت عند فخرى فيقول فى هذا المقال أيضاً : إن فخرى كان كثير الشك فى الفوز بجائزة وزارة المعارف ولكنه طمأنه حتى اشترك ومن ثم فاز بجائزتين .

(١) مقال الأستاذ أحمد فتحى مرسى بالرسالة العدد ٢٨٢ الصادر فى ٤ نوفمبر

وإلى ظاهرة الانطوائية هذه يشير الأستاذ « محمد عبد الغنى حسن » ،  
 فى كتابه السابق الإشارة إليه إلى أنه فى أثناء زمالته لفخرى بانجلترا « رأى فيه  
 عزوفا عن الناس » ويقول فى موضع آخر من مقاله هذا « إن فخرى  
 أبو السعود كان على تزمته ووجومه أحيانا يتهازل للنكتة إذا سمعها فإذا  
 أصابت منه موضعا ، أصبح لا يكاد يحسك نفسه من الضحك (١) ، ولعل  
 هذه العبوسة التى كانت كامنة فيه كانت تنفس عن نفسها أحيانا ببعض  
 الشعر الفكاهى الذى كان ينظمه » ، ونضيف إلى هذا أن إغراقه فى الضحك ،  
 إذا صادفت النكتة مكانها عنده ، إنما كان تنفيسا لما كان يشعر به من  
 كبت شديد ، ونزيد على ذلك أن « فخرى أبو السعود » نفسه يضع أبدينا  
 على انطوائيته هذه بلا قصد علما يقول فى مقدمة إحدى مقالاته النقدية  
 « . . إن الطبيعة هى إلف الشاعر الحميم . . إلى ظلالها يسكن . . وعندها  
 ينفض أوشاب العيش . . ويستريح فكره الذى أضناه التعب ، ونفسه  
 التى أضجرتها معاشره الناس . . » (٢) .

## - ١٠ -

نحن إذن أمام رجل تتنازعه عوامل نفسية متضاربة ، فهو يميل فى  
 أعماقه إلى الحياة المرحية التى يحياها أصحاب النفوس السوية ، ولكنه  
 انساق وقد يكون هذا بتأثير عائلى — إلى حياة جادة منفصلة عن مشاركة  
 الآخرين ، ويمكثنا على ضوء من هذه النظرة أن نفسر موقفه يوم أن أدى  
 الامتحان دون رفاقه جميعا ، ومن هنا نرى أنه يستمر نوازع — التى تود  
 أن تنطلق إلى رحاب أوسع — برداء الجلد الذى يرتديه والذى يعانى  
 من أجله ما يعانى ، من صراع دائم بينه وبين نفسه ، صراع لا يعرف  
 المودة ولا اللين ، بل حتى الحل الوسط فيما أظن . .

لقد اختلف التياران ، نفسه ورغباتها المكبوتة من جهة ، وما أخذه به

(١) مقال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بالثقافة العدد ٩٨ الصادر فى ١٢ نوفمبر

١٩٤٠ وفى كتابه أعلام من الشرق والغرب .

(٢) ص ١٦٩٠ من عدد الرسالة رقم ١٧٢ الصادر فى ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ .

نفسه من جد وبعد عن مشاركة الناس في دنياهم من جهة أخرى ، وعلى الرغم من أنهما يصدران من نبع واحد يتمثل في حياته ، إلا أنهما ظلا في نزاع مستمر ، ومعنى ذلك أن الموت ، بالنسبة إليه ، هو الغاية المثلى ، التي يمكن أن تقضى على طرق النزاع قضاء يستريحان بعده إلى الأبد ، وليس هذا برأى استخلصته ، وإنما هو رأى « فخرى أبو السعود » نفسه أفضى به في ختامه لقصيدته « السجينة » التي منها هذه الأبيات في مخاطبة نفسه وفيها كذلك يبدو جانب من هذا الصراع :

تجنين تيلما ووجدا وطفة	وأظهر أنى الزاهد المتعفف
كأنك في الجنين منى سجينة	تعذب في ظلماتها وتحيف
وتكبح عما تشبه وتبتغى	وتقمع أشواق لها وتشوف
ظلمتك لم أظلم سواك من الورى	وما من خللى قسوة وتعجرف
نعيش كأننا اثنان لم يتعارفا	وما لهما في الدهر شمل يؤلف
ظلمتك خدنا صاحباً وظلمتى	فعل فراقا آتيا هو أنصف (١)

بل يكاد ينتزع هذه الأغلفة ، التي توشك أن تنحط حين يصرح ، في تهيدة حزينة ، أحسها تلمس الجراح من أفئدتنا جميعا فتثيرها ، برغم العقلانية التي تسرى فيها ، ذلك حيث يقول :

لكل شجون في الحياة كثيرة	ولكن يوارى عن سواه شجونه
وكل فنى يبكى لبلواه غابطا	ففى مثله باكى الفؤاد حزينه
ولم يدر إنسان بآلام غيره	فهم - مثلما يخفى الأسمى - يكتمونه
وكل يناجى نفسه في شقائه	بأن جميع الناس تسعد دونه (٢)

## - ١١ -

وإذن لم تكن الحياة المنظمة ، والعامرة بالحياة والمحنة ، تلك التي

(١) راجع القصيدة ضمن المختارات .

(٢) أبيات استشهد بها الدكتور زكى نجيب محمود فى مقاله المشار اليه .

أوضحناها ، في حديثنا عن حياته اليومية والتي أوشك الدكتور « زكي نجيب محمود » أن يحمّد الشاعر عليها ، لم تكن بمرضية للشاعر ولا بمحققة لأمانته ، وإنما كانت ستارا جميلا براقا ، تختبئ آلامه وراء نضرتها وتثور رغباته من خلال ورودها ، في شكل أبيات جامحة ، يثور فيها على رتابتها وآليتها ثم هو لا يكفى بأن يصرخ فيقول :

ياكون كن لي جميلا      على السدوم جديدا  
أشيم في كل يوم      مرمى به مقصودا  
لا تبد يوما فراغا      لا تبد يوما زهيدا  
ابعث أمي أو سرورا      لكن حذار الجمودا (١)

فهو قد بلغ به الملل من رتابة الحياة غايته ، حتى لقد رأيناه يتمنى تغيير ما يراه من مشاهد يومية تعود أن يراها ، حتى ولو إلى الأسمى الذي لا نحسب أن أحدا يتمناه ، بل إنه ليتمنى الفراق من يحب ، على مرارة هذا الفراق ، حتى يحس بمتعة اللقاء وحتى يمكن لفرحة اللقاء أن تتجدد ، فيتجدد بذلك شعوره بالبهجة والسعادة ، إذ لا يمكن أن يحسهما تماما ، دون أن يسبق هذا اللقاء فراق مرير ، يريد كل هذا بل إنه ليود — لو استطاع — عن طريق توالى البعاد واللقاء أن يعيش ألف مرة ، حتى يستشعر لذة العشق ألف مرة ، وأعتقد أنه لولا الملل الذي أحسه وأصبح يسيطر عليه وعلى مشاعره ما انصرف خياله إلى مثل هذه الأمنيات ، وإلى هذه التبريرات التي تقرأها في هذه الأبيات والتي أحسب أن الخطاب فيها موجه صراحة إلى زوجته بحسب ما فهمته من قراءتي للبيت الثاني منها :

لأنني أشتى البعاد زمانا      مثلما أشتى التواصل حيننا  
لا أحب اللقاء عهدا مقبلا      مستمرا به نقضى السنيننا  
إن هذا البعاد يبعث في الأشواق حرى      ويستجيش الحنيننا

(١) من قصيدته « يكون للبصرة بالرسالة عدد ٤ أكتوبر ١٩٢٥ » .

أتفق العمر مسرفاً ، فإذا أقبل يوم اللقاء كنت ضئيلاً  
كل حين لنا لقاء سعيد ووداع أطوى عليه شجوننا  
وتزليدين في البعد جمالا ورواء وبهجة وقوتنا  
كل يوم أجدد الحب بالبعد وأحيي منه فنونا فنسونا  
فكأنني عشت ألفاً وما زلت الفتى الوافي الذي تعرفينا (١)

## - ١٢ -

ولقد حاول وفخرى أبو السعود « ذات مرة » ، أن يفلسف حياته  
فلسفة وردية ، وأن يصفى عليها لونا من التعقل ، والرضى بالواقع ، حتى  
يستسيغها ويرضى عنها رضاء لا إكراه فيه ، ومن ثم نظم إحدى قصائده  
مستهدفا لوم الشاكين والباكين والضائعين من الشعراء الذين ملئوا الدنيا  
من حوله بكاء وأنينا فقد كان البكاء والأنين سمة من سمات عصره  
لذ كانت « الرومانسية » الحزينة ترفرف بأجنحتها الحاملة ، على الشباب  
من شعراء هذه الفترة وقد جاء في هذه القصيدة (٢) قوله :

أكل أخى شعر خدين بلابل (٣) يفوز سواء بالأمانى والنعمى  
فهنا شكا في جنبه ألف طعنة وذاك طوى في كل جارحة سها  
وذا صدره نار ، وعينه ديمة وأضلاعهم حرى ، وأحشاؤه كللى  
وذاك : بطى ، ليسله متناول يساهر فيه وحده الأتق والنجما  
وذاك أضواء وأوهى اضطباره غرام مشى في جسمه : ينحل الجسم  
وذلك ييكي كالوليد ساخطا بلا سبب يلرى ولا غرض يسمى  
ثم يحاول أن يسترعى انتباه هؤلاء المتشائمين إلى ما في الطبيعة من

(١) قصيدة « البعاد » ونشرت بالرسالة الصادرة في ٤ أكتوبر ١٩٣٧ ص ١٦٣٠ .

(٢) قصيدة « تمادوا بشكواهم » نشرت بمجلة الرسالة العدد ٩٩ في ٢٢ أبريل

١٩٣٥ ص ٦٦٨ .

(٣) يشبه هذا قول الخنسي في مطلع قصيدته « إذا كان مدح فالنسيب المقدم - اكل

فصيح قال شعرا متيم ؟ » .

رؤى فاتنة ، وما فى مجالها من محاسن باهرة ، يمكن أن تمرى عن  
الحزونين أحزانهم ، وأن تهب السلى لمن يقتلونهم : : فيقول فى  
القصيدة نفسها :

وكم فى رحيب الكون من أنعم ومن محاسن تصبى العين والروح والفرح  
وكم عرضت فىنا الطبيعة حسننا بلائمن غنما لمن بادر الغنما  
ترى فى مجالها وألوان حسننا عزاء لمن يأسى وريا لمن يظلم  
ونحن لا نرى فى المقطوعة الأولى من هذا النموذج غير مجموعة من  
الأوصاف التى يطلقها بعض المتكلمين على الشعر والشعراء ، فى الروايات  
المسرحية الهزلية ، لإثارة الضحك عند المشاهدين نظمها الشاعر بأسلوب  
مذهب نوعا ما فى هذه الأبيات ، فليس فيها - فيما نحس - دقة الشعر  
ولا عفوية الشاعر .

وأما المقطوعة الثانية ، فهى لاتزيد على أنها سرد باهت لبعض محاسن  
الطبيعة ودعوة متهافنة لاستجلائها والاستمتاع بها ، والعيش فى ظلها  
ولا تدانى هذه القصيدة فى جملة أيا من قصائده التى نظمها هو نفسه  
خالصة للطبيعة .

### - ١٣ -

ومع ذلك فإن الشاعر كثيرا ما أعلن سخطه ، وعبر عن قلقه ، ولم يعد  
يرى فى الطبيعة إلا صورة مجسمة بشعة للظلم التى يتغلغل فى كل ظاهرة  
يمكن أن تلمحها العين ، فى مجالات الطبيعة مهما تعددت مناظرها ،  
ومهما بدت هذه المناظر أخاذاً بجمالها ، باهرة فى إشراقها ، وهو فى  
حالات رفضه أقوى وأقلر على التعبير ، قوة وقدرة لا يمكن أن تصل إليهما  
أى حالة من حالات تبريره ، وربما كانت قصيدته « سل الحديدى » (١)  
من القصائد المكدودة التى يمكن الاستشهاد بها فى هذا المجال ، وهو -  
فى هذه القصيدة - يستعرض ألوانا عديدة مما تعرضه الطبيعة علينا ،

(١) انظر القصيدة فى المخطوطات .

ويبين ما وراء كل منظر جميل رائع فيها من آس فظيعة ، وأهوال لا يمكن أن تقاس إليها متعتها بها ، وهى عنوان على ما يمكن أن تبثه قصيدة جيدة من أفكار سوداوية فى نفس مستمعها ، وننخذ من وصفه للغاية فى هذه القصيدة ، نموذجاً لباقي أجزائها من جهة ، وللمنى استغراقه فى تملاته التشاؤمية ، واستخراجه للصور التى تعبر عن أحاسيسه من جهة أخرى ، ذلك حيث يقول فيها :

تروك الغابة الفيحاء ناضرة	يرف بالحسن عليها ودانها
وبين أطولها حرب مخلة	تج ما بين ماضيها وآتيا
فى عشبا أو ثراها أولفائفها	يكن رائحتها شرا لغاديا
وما اغتنى حبا إلا بهالكها	ولاسما نصرها إلا بذوايا
تغلغل الظلم فى أحنائها وعدا	على الضعيف من الأحياء عاديا
فى كل طرفة عين ثم مهلكة	أو ثم معركة ياويل صالها
تشقى وتألم آلاف مؤلفة	فى كل آن وتردى فى مجالها

بل إنه وبعد أن كتب القصيدة التى يعنى بها على المتشائمين والخزافى ، وفى أول يناير سنة ١٩٣٩ على وجه التحديد ، نشر مقالا بالهلل يبرر فيه الروح المتشائمة عند الشباب ، وهذه المسحة الحزينة التى تجل لإنتاجهم الشعرى بوجه خاص ، يقول فيه . . . وقد يبلو عجبنا لأول وهلة أن أشعار الشباب تفيض ألمًا وسخطًا وتمردًا . . . ولكن لا عجب إذا تذكرنا أن الشباب هو عهد المطاعم التى لا يتسع لها صدر هذه الحياة ، وعهد المثل العليا التى تصطلم بحقائق الحياة المتحجرة ، وتنحطم على صخور الواقع المؤلم ، فلا غرو إذا كانت حياة الشباب أحلاما جميلة يصحوفها بين حين وآخر ، فيرى نفسه فى ظلمات الحياة المطبقة ، فيشتد عند استيقاظه صراخه ، ويتابع فى النظم والنثر تمرده وسخطه .

ونحن نعرف أن « فخرى أبو السعود » حين ترجم أحد الأعمال الأدبية الكبيرة لم يجد أمامه عملاً يلائم مشاعره غير رواية « تس » « لتوماس

هاردى « الذى يقول فيه « فخرى » نفسه ، إنه يعسر عليك حقاً أن تجد  
فى آثار « هاردى » على كثرة ما نظم وما نشر موضعاً لمسرة ، أو معرضاً  
لفكاهة (١) .

## - ١٤ -

لقد انهار الجدار الذى أقامه « فخرى » من إرادته ، انهار لأن مقدماته  
لم تكن أصيلة نابعة من أعماقه ، لقد كان كل ما يرتديه من أردية الصلابة  
والحدة والتعقل ، كان كل ذلك وافداً عليه ، بتأثير من عوامل شتى ،  
قد يكون منها أثر بيئته وتربيته وقد يكون منها عوامل أخرى لم نهتد إليها  
بعد ، وحتى إقامته فى إنجلترا ، لم تجد فى إقامة توافق بينه وبين المجتمع  
المفتوح الذى وفد إليه ، بل لعله كان هناك أكثر نفوراً ، أجل فقد كان  
فى إنجلترا يعيش منزلاً ، إلا من تلك التى صادفته يوماً فاتخذها زوجة ،  
ذلك لأنه أحس إحساساً ساحقاً ، بأنهم ينتمون على المتفوقين منا ،  
ويضمرون للآخرين الازدراء وأنهم يعتبروننا جميعاً متأخرين جهلة (٢)  
ومن هنا كان انزاله عنهم ، واستعلاؤه عليهم ، وأعتقد أن « فخرى  
أبو السعود » استقى من هذا النبع ، قصائده الوطنية المثيرة ، التى  
تشعل حماسة ضد الإنجليز ، والتى كان يبعث بها إلى الرسالة لعلها تثير  
روح العزة والنخوة فى أبناء وطنه ، حتى إذا عاد إلى وطنه ، اصطدم  
بالفساد الحزبى ، وتناحر القادة على مصالحهم الخاصة ، وبعد الأمة  
الذسبى عن العمل على تحقيق الحرية والاستقلال ، فانطوى على نفسه  
وفقد الأمل فى مجتمعه ؟

وإذن فقد توافرت له فى رأيه عن قصد أو عن غير قصد كل عوامل  
النفور من المجتمع والبعد عن الناس . ومن هنا أيضاً ضل أمام  
مشكلاته ، ولم يهتد إلى حل يرضه ، ولم يجد بداً عندما تكاثفت

(١) نفس مقاله بسند الهلال المذكور .

(٢) مقال فخرى أبو السعود بعنوان « عهد ذنوبى » بالمسألة ص ٤١٨ عدد ١٢ مارس



أماه ، وتحافت عليه ، وراحت تأخذ بتلاييه ، من أن يصرح بكل ما يملك من قوة ، ومن حيرة أيضاً .

وقد شرد اللب تفكيرى وأجهلنى  
وكلمنا زدت علما زدت وأسنى  
وما اعتليت لأمر فيه مقتنع  
جهلا . ولم أدر ما آتى وما أدرع (١)

ولم يستطع أن يصمد طويلا ، بل ألقي بسلاحه . . . وهو لم يزل في شرح شبابه على أرض المعركة وأعلن استسلامه وإقراره بما يعيش عليه الناس ، من تقائص لا يمكن إصلاحها :

صاح ذا عالم الفائن من رام كالا به أراد الحالا  
من أراد الكمال فى كل قصد حقر السعى واستخس النضالا  
من <sup>بغى</sup> المتبى أقام فلم يبرح وعاف المثال والأفعالا (٢)

- 10 -

ولم يجد أمانه غير الموت ، يتاجيه ويدعوه ويصفه بأجمل النعوت ، ويرى فيه الطبيب الأمثل الذى يمكنه أن يداوى هذه البشرية الجالحة المليئة بأنواع الشرور والأذى من أدوائها هذه ، وأن الموت هو الصديق الصادق ، وأن الناس إنما يكرهونه بلا وعي منهم مثلما يكره الطفل الطبيب الذى يحمل إليه راحته ، وإنه - فيما يرى - الواحة التى يأوى إليها من شفه قيط الحياة ، وإنه فوق ذلك كله - بلاغ النفس الحائرة فى دروب من الشك - وقد يكون فى هذا ، مفتاح يبيننا على فتح باب سر من الأسرار التى عاش « فخرى » شقياً بها ثم أصبح فى النهاية لا يطقها .

لقد أصبح الموت بالنسبة إليه أمنية ، وإن اغتال المني جميعاً ، وذلك لأنه سيربح منها جميعاً ، ورحم الله المتنبئ حين قال عن جدته :

(١) من قصيدة « كلفت نفسك عمرا » الرسالة ص ٨٢٧ سنة ١٩٣٥ .

(٢) من قصيدة « الكمال » ص ١١٨٩ من الرسالة ٢٠ يوليو ١٩٣٦ .

ولم يسلمها إلا المناسيا وإنما أشد من السقم الذى أذهب السقا  
ولنستمع إلى « فخرى » معا وهو يتغنى بهذه الأبيات التى يتلجى  
فيها الموت ويستعجل لقاءه :

أيا قادماً تخشى النفوس قدومه لأنت صديق في ثياب غريم  
قدومك تحرير الأسارى ولودرت لما أنكرتك النفس يوم قدوم  
كما ينكر الطفل الطيب وعنده له يراء أسقام ودمل كلوم  
إذا قست الدنيا على متعب بها بسطت له لأيا جناح رحيم  
ومن شفه قيظ الحياة أغثنه يبرد نسيم في الأصيل رخيم  
وأنت بلاغ النفس حيرى مروعة بوادى شكوك جمّة وهموم  
فأنت، وإن غلت المنى، أطيب المنى وفيك نسيم المرء أى نسيم  
ولو علم الجاني لما جاد عامداً على خصمه بالموت جود كريم  
وأنت تريح الفكر من كل معضل يظل له في حيرة ووجوم  
عزاء لبعض الناس أنك قادم وأن شقاء العيش غير مقيم (١)

بل إنه ليذكر في نشوة وطرب أنه سيحل ضيفاً على مدينة الموتى  
حيث القبور التى يغمرها ضوء القمر البللورى وحيث يجد فيها من سبقه  
من أحباب ، لما يزل قلبه يستعر بالشوق إليهم ، ومن هذه القصيدة  
قوله : -

سأجىء هنى الدار يوماً لاحقاً من غادروا بالقلب برح سفير  
وتقر في تلك الغيبة أعظمى من بعد كد ذائب مكروور  
يسلو بها قلبي قد يم ما رب كانت ويتزع عن أمى وجور  
غفلان عن سال لذكرى جامد أو جائد بفنؤاده المقطور  
ويطل ذاك البدر فوقى زاهيساً يحلو سنانه غياهب الديهور (٢)

(١) انظر قصيدة الموت ضمن المختارات .

(٢) انظر قصيدة سأجىء هنى الدار ضمن المختارات .

وكومضة الصباح في التزع الأخير ، قبل أن تخف الظلمة ، ارفع صوت  
 « فخرى أبو السعود » في صيحة يعلن فيها عن رغبته في الحياة ، حياة  
 تستغرق أعماراً وأعماراً ، وتكفيه ليتنقل في الأعصر المتوالية وليشهد أحداث  
 القرون جميعاً ، بل يعلن حسرته أنه ليس إلا فرداً واحداً ، لا يملك غير  
 عمر واحد ، لا يمكنه من مشاهدة ما يريد ، ومشاركة الدنيا فيما تبديه من  
 أعاجيب ، ذلك حيث يقول من قصيدة نشرها قبل أن يموت بأشهر  
 معدودة :

ليت لي عمراً فعمراً مثلما	تشرق الأنوار بعد الظلمات
إن مضى عمر تلاه غيره	عني أصحب فوج الحادثات
ليتي أدرك أجيالا تلي	حافلات بأعاجيب الحياة
لأرى الأحداث في ترددها	وأرى الكون جديد الحبرات
أنا فرد واحد بين الورى	ليتي شتى شخوص وفئات (١)

ولكنه ما لبث أن فاجأنا بقصيدة أخرى ، قصيرة ، بلغ من قصرها أن  
 أحداً لا يستطيع أن يقيس لها زمناً ، قصيدة لم يجر بها قلمه ، ولم يشفع  
 عنها فمه ، وإنما انطلقت من مسدس صغير في يده فاستقرت في رأسه ،  
 وهو مسترخ على كرسيه الطويل ، بحديقة داره الصغيرة برمل الإسكندرية  
 صبيحة اليوم الواحد والعشرين من أكتوبر سنة أربعين وتسعمائة وألف  
 من الميلاد .

وبعد . .

فقد انتهى المطاف بنا إلى حيث انتهى الرجل ، ووقفنا معه في هذه الرحلة  
 عدة وقفات كان يبعد عنا فيها خطوة إثر كل وقفة .

(١) قصيدة شتى شخوص العدد ٨٢ من الثقافة الصادرة في ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٠

ولعل الأولى كانت هذه الانطوائية ، تلك التي تجلت في كثير من تصرفاته ، وكانت الوقفة الثانية وليدة الأولى ، إذ لا تسبّد الحيرة حتى تبلغ مداها ، ولا يتقوى الشك حتى ينال من صاحبه ما يريد ، إلا إذا مهدت الانطوائية لهما السبيل إلى ذلك ، ثم رأيناه في شعره ساخطاً على الغرب ، قليل الثقة في الشرق ، وكانت قلة ثقته هذه ، أثر من آثار انطوائته كذلك .

ثم كان الملل الذي سيطر عليه ، ولون كثيراً من أفكاره ، وبالتالي قصائده ، ومن ثم راح يتمنى الخلاص منه ، على أى صورة من الصور . .

وأخيراً انتهينا إلى أن الرجل لم يبق له من عالمه غير زوجه وطفله فلما انتزعهما القدر منه أسقط في يده ، وكانت هذه هى القشة التي قصمت ظهر البعير .

ومن هنا رأيناه ساهما لا يلوى على شيء ، ولا يقلر على شيء . . . فلما دعى إلى حفل ذكرى محمد تيمور ، لبي الدعوة فقد كان يؤمن بعقريته ونبوغه ، ولكن القدر لم ينصفه ولم عمله فاسترحه في بداية الطريق . .

كما لم ينصف هو نفسه ، ولم يعبأ القدر كذلك بأمانيه ، ولا بمثله بل ولا بوجوده ، وكانت قصيدته ليلتها ، صدى آليا لمقدرته على النظم ، فقد كان الرجل قد فقد روحه ، ووجوده ، وكيانه ، وكان على المسرح ساعتها مجرد صدى لرجل ميت ما لبث أن استعجل إسئال الستار على جسده ، ومن ثم خر صريعاً على أرض المعركة ، هذه المعركة التي لم يكن بها محارب سواه ! بعد هذه الليلة بيضعة أيام . .

## الفصل الثاني

- شائربلاصدي
- حواء والشاعر
- الشاعر الوصاف



ثانہ بلا صدى

## تمهيد

في ٢٠ من يونيو سنة ١٩٣٠ أسند الملك فؤاد الأول رئاسة الوزارة إلى « إسماعيل صدقي باشا » الذي كان معروفاً بميله الاستبدادية وخصومته الواضحة للشعب<sup>(١)</sup>، وكان اختياره لهذا المنصب - في ذلك الوقت ، ونظراً للظروف التي أحاطت به - يعتبر تحدياً للشعب واستهانة بحقوقه ، بل ويكرامته أيضاً ، ويمكن أن نلمس هنا في الخطاب الذي تقدم به إسماعيل صدقي للملك والذي يشكره فيه على الثقة الغالية التي أولاه إياها . . . ثم يقول بعد فقرات « . . . : وستتهج الوزارة في سبيل الوصول إلى بث الطمأنينة ، الوسائل الطبيعية ، والأسباب النظامية وهي قوية الرجاء في ألا تلجأ الظروف - على كره منها - إلى الأخذ بغير تلك الوسائل والأسباب ... » (١) ومعنى ذلك أن إسماعيل صدقي حدد في هذه الكلمات للأمة طريقين لثالث لها ، وهما طريق الخضوع والإذعان لما يريده ، أو الاستهداف للشدة والإرغام إذا لم تشأ تنفيذ هذه الإرادة ، ولكي يصنع لنفسه لافتة ديمقراطية يقف تحتها ، إمعانا في السخرية من عقول بعض الناس ، اصطنع حزبا جديدا أسماه حزب الشعب ثم ضم إليه بعض الوصوليين من أنصار السراى وكانوا يطلقون على أنفسهم حزب الاتحاد ، ومن هذين المسخين أقام وزارة تمثل المؤتلفين وإن كان هؤلاء المؤتلفون لا يمثلون إلا أشخاصهم وليس لهم في الجواهر الشعبية أية جنور .

ومن هنا ، وثورة على هذا الوضع البالغ الاستهتار بالشعب ، صاحب الحق الشرعي في اختيار حكامه ، قامت المظاهرات في كل مكان

---

(١) الجزء الثاني من كتاب في اعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن الراعي ص ١١٠ .



بالقطر ، ريفه وصعيده ، مدنه وقراه ، قتل فيها وجرح الكثيرون ممن واجهوا الموت ، وهم يهتفون بالعدالة والحرية ، ومن الأمثلة الدالة على عنف هذه المظاهرات وحلتها ، أن الإسكتلرية وحدها فقدت في يوم واحد هو ١٥ يوليو سنة ١٩٣٠ عشرين قتلا من أهلها على حين بلغ عدد الجرحى خمسمائة جريح (١).

ولمعاننا في المهانة والإذلال باجرت الحكومة الإنجليزية فأرسلت بارجتين حربيّتين إلى الإسكتلرية بدعوى حماية أرواح الأجانب في المدينة فكان لحضورهما وقع أليم (٢).

وبالغ الملك في امتهانه للشعب فألغى دستور سنة ١٩٢٣ ، وكان يمثل وقتها - على ما فيه من نقص - أمانى البلاد ، وكان الملك قد أقسم من قبل على احترامه ولكنه مال بث أن عبث بقسمه هذا وألغى هذا الدستور ، ثم أصدر بدلا منه دستور سنة ١٩٣٠ الذى أبته الأمة كل الإباء ، إذ لم يكن لحقوقها فيه مكان ما .

وانخذت الحكومة الضمانات التى رأت أنها تتيح العمل بهذا الدستور أطول مدة ممكنة ، فكان من مواده أنه لا يجوز النظر في تعديله قبل مرور عشرة أعوام من العمل به .

هذا مع أنه كان لا يلزم الحكومة بشيء ذى قيمة ، حتى إن مشروع طرح الثقة بالحكومة - وهو حق معترف به فى المساتير - أحيط فى هذا الدستور بسياج من الإجراءات التى تجعل تنفيذه مستحيلا (٣) ، وقد أباح هذا الدستور للملك أن يهمل أى قانون بعد أن يميزه البرلمان - إذا رغب فى ذلك - كما جعل دعوة البرلمان للاجتماع غير العادى مرهونة بإرادة الملك (٤) .

(١) نفس المرجع صفحة ١٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٣) نفس المرجع ص ١٢٤ .

(٤) نفس المرجع ص ١٢٧ .

وعادت المظاهرات الدامية تفتح البلاد من جديد ، واثقلت الأحراب على اختلاف وجهات نظرها متحلة أمام هذا الطغيان السافر ، وتعددت وسائل التعبير عن سخط الشعب وغضبه ، وكانت محاولات اغتيال صدق باشا أولونا من ألوانها . .

ثم أصيبت البلاد بأزمة اقتصادية حادة دبط فيها سعر قنطار القطن من أعلى رتبة إلى عشرة ريالات ، واتخذ صدقي بعض الإجراءات التي رأى أنها يمكن أن تقف بالبلاد على حافة الهاوية فحسب ، دون أن تردى فيها ، ولكن إجراءاته لم تكن جذرية وإنما استهدفت في الأغلب حفظ أموال الرأسماليين ، ومن هنا اشتد الضيق بالفلاحين الذين فر الكثيرون منهم إلى المدن بحثا عن القوت الضروري وبيع القوى الكامنة في سواعدهم بأبخس الأثمان . .

كذلك كشفت التحقيقات التي تمت في بعض القضايا "عن مخاز عديدة ، منها قتل المواطنين وتعذيبهم انتقاما منهم لانتباهاتهم السياسية ، كما اكتشفت حوادث أخرى تحمر لها الوجوه خجلا أو تصفر منها خزيا لعبت فيها الرشوة واستغلال النفوذ أدوارا ذات أثر خطير . .

ولم يجد "إسماعيل صدقي" - وقد طفق الكيل - بدا من أن يستقيل خوفا من الانفجار الشعبي وكان ذلك في ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ وقد جاء في رد الملك فؤاد بقبول هذه الاستقالة هذه العبارات " . . ولا يسعنا حرصا على صحتكم إلا إجابتكم إلى ملتصمكم . . راجين للولتكم كمال العافية . . حتى تساهموا في خدمة البلاد بما عرف عن دولتكم من المقلرة الفائقة وأنا شاكرون للولتكم ماقلتمم البلاد من أعمال مجيلة . وخدمات جليلة . . " (١) وكان هذا الرد وحده إمعانا ملموسا في الازدراء بشعور الأمة وقتئذ . . (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٨١ .

(٢) يلجأ الملوك أحيانا - لنا اشتد غضب الشعب ال استبدال وزير بوزير آخر ففي هذا الاستبدال امصاص مؤقت لغضب الجماهير . وقد حدث هذا فعلا عند مقدم هذه الوزارة

ثم أسند الملك رئاسة الوزارة إلى « عبد الفتاح يحيى باشا » في ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ وقد أدرك الإنجليز ضعف هذه الوزارة وانفصالها عن الشعب وخللان الشعب لها فأخذوا يستهينون بكرامتها وتعددت مظاهر استعلائهم عليها ، فتدخلوا في حياة الملك الخاصة وفي المناصب الكبرى ، وقاموا بزيارة بعض المنشآت الحكومية والتفتيش عليها بلون علم الحكومة ، ولم ير عبد الفتاح يحيى وقد شعر بالهوان والذلة إلا أن يتقدم باستقالته فقبلها الملك في ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ وعهد إلى « محمد توفيق نسيم باشا » بالوزارة وقد حدثت في عهده بعض المظاهرات وبخاصة إثر تصريحات الوزير الإنجليزي صمويل هور المعادية لمشاعر الجماهير (١) وقد ظل « نسيم » في الوزارة حتى ٢٢ يناير ١٩٣٦ حيث جاءت وزارة على ماهر التي أجرت الانتخابات ومن ثم فاز فيها حزب الوفد بالأغلبية ووصل إلى مقاعد الحاكمين . .

## - ٩ -

أعتقد أن هذا التهديد كان ضروريا - بالنسبة للشبان الذين لم يعاصروا هذه الفترة من تاريخ مصر على الأكل - وذلك لبيان المناخ الذي كان يعيش فيه الشاعر « فخرى أبو السعود » الذي كان يفعل بمؤثراته ، ومن ثم ينظم أحاسيسه الناجمة عن هذا الانفعال ، شعرا لا يمكن أن يجحد صدقه ، حتى وإن تعددت أمامك منافذ القول فيه .

ويمكننا أن نقول إن إقامته في إنجلترا في النصف الأول من هذه الفترة ورؤيته للشعب الإنجليزي عن كثب ، وهو يستمتع بحريته ، ويمارس حقوقه السياسية على الوجه الأكمل ، ثم مقارنته بين حياة هذا الشعب ، وبين حياة شعبه هو على ضفاف النيل ، حيث يسيطر عليه حكامه بالحديد والنار ، وبما هو أقسى من الحديد والنار ، ثم لا يقيمون لرغبته وللمشاعره وزنا ، أى وزن . كل ذلك كان له بلاشك أثره البالغ في

(١) فهتت الجماهير من هذه التصريحات صارخة انجلترا لمودة دستور سنة ١٩٢٢

وقد كانت هذه المودة من أهدافها الكبرى في تلك الأيام .

أحاسيس « فخرى أبو السعود » ومن هنا تفجر بيانه بهذه القصائد الملهمة التي نظمها وهو يتلقى العلم في إنجلترا أى في البلد المعتبر ذاته ، فمن هناك ، بعث إلى مجلة الرسالة بقصيدته الصارخة « بنى مصر » وقد نشرتها المجلة في ١٥ يناير ١٩٣٤ وكانت البلاد قد جنحت إلى الاستكانة فترة من الزمن في أثناء وزارة « عبد الفتاح يحيى » ومن هذه القصيدة قوله :

إلام تغيب الشمس عنا وتطلع	ونلعب في ظل الحياة ونرتع
نهم بهزل لانهم . . بغيره	ونهرب من جسد الحياة ونفرع
ونشاهد من آباءنا وجدودنا	فخاراً على أعقابهم ليس يخلع
تليه بتاريخ لهم ومآثر	قيام على الأيام لا تترزع
وما هي مالم نحى إلا صحائف	بواله ، وأطلال خوال ، وأربع
وفيم تبايننا يعز ورفعة	وحاضرنا قعر من العز بلقع
تبرأ ماضى المجد منه ، ولو درى	لطاش له خوfo ، وأذهل خفرع
وربع الفراعين العظام ، وأجفلوا	وهالم دسنا التراث المضيع
رأوا أمة تمشى وراء زمانها	وقد عرفوا في الطليعة تطلع (١)

## - ٢ -

ولقد كانت الامتيازات الأجنبية أيامئذ ، داء عضالاً استشرى فساده في الوادى من أقصاه إلى أقصاه ، ولم يدع الأجانب متفلاً فيها يمكن اعتصار ثروة الشعب بواسطته ، إلا وقلوا منه ، وتسلبوا تحت خمائنها إلى كل المرافق الاقتصادية للأمة ، تحميمهم من أنفسهم بحاكمهم الخاصة ، ومن الأمة بحاكمهم المختلطة ، التي مهلت لهم كل سبيل الإثراء الفاحش ، واستغل هؤلاء الأجانب طيبة الكثرة من أبناء هذا الشعب ، ونظرتهم إليهم ، على أنهم خواجات من بلاد بره ، لهم علم وفن وفكر ، وأنهم - فوق ذلك - ضيوف علينا ، يجب إكرامهم ، ولكن هؤلاء

(١) انظر القصيدة كاملة ضمن المحادثات .

الأجانب ، كانوا قد قتلوا ضيافتهم ، وراحوا يستولون ذلك كله أبشع استغلال ، وأثار كل هذا « فخرى أبو السعود » وهو في إنجلترا يرى بعينه أن الشعب هناك ، هو سيد أرضه ، ومالكها الحقيقي ، بل إن الإنجليزي في بلاده ينظر إلى الأجانب بازدراء ، لقد قالت له زميلته الإنجليزية في صراحة « إن الإنجليزي لا يحبون الأجانب بعامة لأنهم يعلون أنفسهم سادة العالم » (١) ومن هنا ، ويتأثر من كل هذا ، أو من بعضه ، نظم قصيدته « أعداء لا ضيوف » ويحث بها إلى الرسالة فشرتها في ٢٦ فبراير ١٩٣٤ ، (٢) وهو في افتتاحية هذه القصيدة يوجه الخطاب إلى هؤلاء الضيوف الثقلاء فيقول :

فضوليون أنتم لا ضيوف      ثقلتم في منازلنا مقاما  
زعتم مالكم ، دم مصر ، يحيا      به أبنائها ، عاما فعاما  
وما أموالكم إلا بلاء      تسرب في دم الوادى سما  
وداء في مفاصله عياء      مشى يرى المفاصل والعظاما

ثم يوجه الخطاب إلى أبناء وطنه من المصريين فيقول :

بنى مصر بنى اللؤماء بغيا      علام نطيق بغيم علاما  
أخو الافرنج إن تكرمه يشمخ      عليك وإن تقومه استقاما

ثم يطالب المصريين ، بأن يعملوا على شل أيدي هؤلاء الأجانب عن اقتصادياتنا ، حتى يمكن أن نتنفس ، ويدعو كذلك إلى إلغاء هذه الامتيازات الجائرة الملعونة ، وإلى تحطيم قيودها فيقول :

أشلوا عن تجارتنا أيديهم      فقد ملكوا بها منا الزماما  
وقتلوا عن معاصمتنا امتيازنا      يكلنا به التقسوم اهتصاما

(١) مقال لفخرى أبو السعود بالمعد ٣٦ من الرسالة ص ٤١٨ الصادر بتاريخ ١٢

مارس ١٩٣٤ .

(٢) ص ٣٤٤ عدد ٣٤ .

ولم أر مثله ذلا وعارا      وغبنا ، للعسالة واختراما  
أذاقونا المسئلة في حمانا      وإن نصمت.. إذاقونا الحما

### - ٣ -

على أنه يمكن أن نشير إلى قصيدته « يوم التل » باعتبارها أهم القصائد التي نظمها في هذه الفترة - فترة التغرب - من الوجهة الوطنية ، ووجه الأهمية في هذه القصيدة موضوعها ، ذلك أن الناس كانوا يستشعرون العار تجاه ذكرى هذا اليوم المشثوم باعتباره يوم المعركة الفاصلة التي انتصر فيها الإنجليز على عرابي ومن ثم تمت لهم السيطرة على وادى النيل ، ومن هنا كان فريق كبير من الناس يلقي بالتبعة على قادة جيشه فيه - كان المعركة كانت بين قوتين متكافئتين ، أو مصدقين لما كان يشيعه المستعمرون حول هذه المعركة من أقاويل ، من شأنها أن تحط من قدر الذين ضحوا بحياتهم فيها ، ولكن « فخرى أبو السعود » في قصيدته هذه استطاع أن ينفي العار عن هؤلاء القادة ، وأن يتخذ من هذا اليوم مصبرا فخارا يمكن أن يعتز البنون به :

ولم أر « يوم التل » عارا وسبة      ولم أره إلا أغسر مجسدا  
أنجمل أن قمنا نلود عن الحمى      ويسحب أذيال الفخار من اعتدى ؟  
تدفق من عبر المحيط مهددا      فما حفلت آياؤنا من تهددا  
وقالوا شاة السيف دون عدونا      وإن يك عرض البر والبحر أبدا

وقد بعث الشاعر بقصيدته هذه إلى مجلة الرسالة ، مع خطاب يبين فيه وجهة نظره في هذا اليوم ، ويقترح عليها أن تنشرها يوم ١٥ سبتمبر ، أى في مثل ذلك اليوم الذي وضعت فيه إنجلترا يدها على القاهرة سنة ١٨٨٢ ليكون في ذلك تذكرة للناس .

وقد استجابت المجلة لاقتراح الشاعر ، ونشرتها في العدد الصادر يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، وكان ذلك قبل استقالة الطاغية « إسماعيل صدق » ببضعة أيام ، أى في الوقت الذي بلغت فيه المساة الوطنية قممها . .

وقد تناول « فخرى أبو السعود » فى هذه القصيدة تفاصيل الاعتداء  
البريطانى على الإسكندرية والذى انتهى بإحراقها ، ثم ندد بعجز الجيش  
الإنجليزى عن اقتحام خطوط التحصينات المصرية بكفر النوار .

ولما أحال الثغر جحراً غرباً      تقلم يبنى مستراداً ومهتدى  
فأبصر من دون السبيل بواسلا      جثيا على هام المسالك رقدا  
تصلبى إليهم كرة بعد كرة      فأصلوه نيراناً فأب مبدلاً

ومن هنا ، وخشية من تجدد هزيمته السابقة فى رشيد ، عمد إلى مهاجمة  
البلاد من حدودها الشرقية ، وبين « فخرى أبو السعود » فى حرارة وطواعية ،  
بعض هذه الأساليب التى تنلى لها وجوه الذين يستقشرون الحجل ، والى  
اتباعها الجيش الإنجليزى فى هذه المعارك ، ومن بينها ما يعبر عنه فى هذه  
الآيات :

جرى تيره فيهم وصالت سفينه      غرق عهدنا للقناة مؤكنا  
وساق على الأحرار بالتل سفلة      أتى بهم من كل فج وأعبدنا  
ولولا جنود الأثم تلغى دونه      لما مد رجلا للقتال ولا يدا  
وما نال إلا بالجريمة مغنا      ولا مل إلا فى الظلام مهنا  
ثم دافع عن « أحمد عرابى » فى آيات تحمل كثيراً من معانى التقدير  
لهذا القائد المفترى عليه . : فقال :

سلام على قبلى تولى زمامها      أعف الورى قصداً وأنقام يدا  
أصاب بها نجما فلما كبا بها      وأدركه منها العثار تجلدا  
جريرته أن رام مصر عزيزة      وشاء لها أن تستقل وتسعدا  
ورام لها من طغمة الترك معتقا      وبعدا لعهد الترك أشأم أنكلا

لثم اختم قصيدته بأنه يرجو - وقد أوحى إليه هذه الذكرى بذلك  
الرجاء - أن يعود مع الزمن « أحمد عرابى » آخر يحقق لمصر أمانيها :

ستذكره بعض القنينة ما ايقظ لدى الحق هذه أولى الهدى موعدا  
عسى أذكرنا - زعم الهزيمة أحمدنا - سبيعت فينا للقنينة . . . أحمدنا (١)  
وقد استجاب الله لهذا الرجاء فخرج من صفوف هذا الجيش زعيم هذا  
الشعب . . . جمال عبد الناصر .

## - ٤ -

وعاد الشاعر من إنجلترا وهو يحمل شحنة عالية من الأفكار التي كانت  
تقاهمه هناك بين قوم يرون فيه واحداً من أولئك الشرقيين الذين يحتاجون  
للتزود من علمهم وثقافتهم ليستكملوا بها نقصاً يحسونه في تكوينهم العلمي  
والثقافي (٢).

وبين شعور جارف بما للعربي من فضل على الحضارة في هذا العالم ،  
وفي طريق عودته - قبل أن يصل إلى أرض الوطن - التقى وجهاً لوجه  
« بجبل طارق » و« لطارق » هنا رنة في الأسماع وصدى في الأفتلة ، لقد  
كان لقاء مثيراً بين الحاضر المتخاذل ، والماضي الأشم الشامخ ، وهنا  
وبتأثير من هذا اللقاء الموحى نظم قصيدته حصن طارق ، وقد أفرغ فيها  
أصداء مشاعره وأحاسيسه ، التي كانت النظرات الإنجليزية المتعجرفة  
تمزقها تمزيقاً .

لقد مرت السفينة أمام هذا الحصن الذي تحمل أحجاره أغل ذكريات  
يمكن أن يعتز بها عربي فيراه وقد :

تغيرت الدنيا وباد قيله	وغيره دهر مضى وقرون
وقطب لما أنكر العصر حوله	وسارت بما لا يشتهي شئون
تعطل من بعد اعتصام ومنعة	أسير بأيدي الغالين رهين

---

(١) القصيدة طويلة وموجودة بالكامل ضمن المختارات . . . وأحمد هنا أحمد عرابي  
وأحمد الثاني الزعيم المتطهر .  
(٢) مقال فخرى أبو السعود بالرسالة العدد ٣٦ ص ٤١٨ بتاريخ ١٢ مارس ١٩٣٤ .



وتغلب عليه الحكمة التي أوجت بها هذه الرؤية المتشعبة فينتف من أعماقه . .

إذا لم تكن هجمات قوم حصونهم تلتاع رواسي دونهم وحصون  
ويعود بذاكرته لحظة إلى الماضي فتمر الحوادث مسرعات يأخذ بعضها  
برقاب بعض ، متلاحقة كأنما تعرضها آلة عرض سينمائية :

تعالى بها ، الله أكبر ، مرة      فمادت سهول دونها وحزون  
وسالت شعاب بالصوارم والأقنا      وأحرق خلف الفاتحين سفين  
وقامت بأطراف الجزيرة دولة      وأزهر عرفان وأشرق دين  
جلا أمس عنها آلهما وبنوهم      على الضفة الأخرى الغداة قطين

فلا يملك ، وقد تتابعت هذه المشاهد أمام عينيه ، من خلال شرفات  
الحصن الأشم ، إلا أن تتمزق نفسه حزنا ، وإلا أن تنهاى أعماقه بكاء  
وأسفا ، على أثر مقارنة فلسفية قادت إليه الذكريات التي أوحى إليه بها  
هذا الجبل . . ويروح يغمغم في همس يقطعه التشيع :

خشعت وعادتنى لدى حصن طارق      همومى وابنتى لديه جفون  
لشعب يسبح الذل من بعد ما سما      له فى الورى ملك أشم مكين (١)

- ٥ -

وما أن وطئت قدماه أرض وطنه فى أكتوبر من سنة ١٩٣٤ ، حتى  
راعه أن الحماسة التي كانت تتقد فى صدور المواطنين ، والتي كانت تقود  
الجموع الثائرة ، فى أوائل عهد « إسماعيل صلقى » والتي خلفها  
فى أوجها عند مغادرته أرض الوطن إلى إنجلترا ، راعه أن يرى كل  
هنا ، وقد فتر ، فى عهد « عبد الفتاح يحيى » إذ - خيل إليه -  
أن الأمة استأنمت إلى ما يراد بها ، واستكانت فرضيت ، أو خيل إليه  
أنها رضيت ، عن هذا الوضع المهيمن .

(١) راجع القصيدة كاملة ضمن المختارات .

كان في ظنه أن يعود إليها فإرها ، وقد مشت خطوة إلى الأمام في طريقها إلى الحرية ، وإلى العلالة الاجتماعية ، ولكنه وجدها وقد ارتدت بجمودها خطوات ، فنظم أول قصيدة بعد عودته بعنوان « لا تباهاوا » ونشرها بالرسالة في ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٤ ونقتطف منها هذه الأبيات :

من الملك بات مهضوم الحمى      وتراث بات نهب الناهيين  
ولأرض نام عنها أهلها      تاركها بين أيدي الآخرين  
وتحلى قادة عن أمرها      فاستوى المائن منهم والأمين  
ثم يوجه الخطاب إلى القادة والذين هم في الدرجات العلا من المجتمع حينئذ فيقول :

لا يطل منا بفضل أحد      لا يزر الفرد والجمع مهين  
لا تساموا درجات بينكم      كلكم للغاصب العادي قطين  
لا تباهاوا بمغان رفعت      هي للسكنى قبور وسجون  
أو بأثواب عليكم نقت      أنتم أسرى بها لو تعلمون  
حرروا أعناقكم ثم افخروا      بحطام أو بجاه تملكون  
وقد استقالت وزارة عبد الفتاح يحى بعد ذلك بأسبوع واحد إذ كانت هى الأخرى قد بلغت قمة مأساتها ذلا ومهانة .

## - ٦ -

وعهد الملك « فؤاد » إلى « محمد توفيق نسيم باشا » بتأليف الوزارة ، وكان الرجل برغم جموده على وفاق — إلى حد ما — مع « حزب الوفد » أكثر الأحزاب التصاقاً بالجماهير في ذلك الحين ، وكان الوفد يطمع — إذا ما جرب سياسة المهادنة مع هذه الوزارة — أن يعود دستور سنة ١٩٢٣ ، وهو يعتقد أن أية انتخابات برلمانية تقوم على أساس من هذا الدستور ستلغ به حتماً — بناء على تقيجتها — إلى

كرامى الحكم ، وكان الملك قد شعر بضعفه وضعف حكومتيه  
السابقتين أمام الإنجليز فأبدى بعض اللين أمام تساهل الحكومة ،  
إزاء تحركات الوفد وسياسته .

واغتنم الوفد هذه الفرصة ، فأراد إيقاظ الجماهير حتى تستشعر  
كيانها إذ أن من هنا الكيان يستمد ألفرد قوته ، استعدادا لخطواته  
المقبلة ، التي يعتقد أنه يصل بها إلى الحكم ، فيمكن لأنصاره الاستفادة  
من الحكم ، وتعويضهم ما قتلوه طيلة بعده عن الوزارة في الفترة  
الماضية .

وعلى هذا دعا الوفد إلى عقد مؤتمر وطني كبير تستعرض فيه  
جميع مشكلات الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولم تمنع  
الحكومة في عقده . وعقد في يومى ٨ ، ٩ من يناير سنة ١٩٣٥ بالزمالك .

وكان أن سجلت شركة مصر للتمثيل والسينما صور هذا المؤتمر  
وعرضتها في عدد خاص من جريدتها الناطقة بدور السينما المختلفة .

وفي إحدى هذه النور دخل : فخرى أبو السعود ، وشاهد هذا  
الفيلم كما شاهده غيره من المتفرجين ، ولكن الذى راعه يومها ،  
وفجر سخطة ، أنه أحس بسخرية بعض الأجانب من رواد هذه  
الدار ، بالمؤتمر والمؤتمرين ، أوضحها في أذنيه تعليقاتهم المتهكمة ،  
وأبدتها لعينيه إشاراتهم الوقحة ، ولقد أحس في هذه اللحظة ،  
بالوخزات نفسها التي كان يحسها في إنجلترا ولكنها كانت  
هنا أعمق عجزا ، إنه هنا في بلده ، وبين مواطنيه ، وهو  
لا يرى في هؤلاء الأجانب إلا لصوصا ، جامعا ينهبون خيرات  
بلاده ، ويستترفون دم أبنائها ، ويخرج من السينما ليعتج لحظة  
الرسالة بقصيدة نارية ، يصب فيها غضبه ، لقد تملكه الغيظ  
من هذا المنظر ، ولذلك راح يثير فيه النخوة والحقد والغضب ،  
وقد نشرت الرسالة هذه القصيدة ، بعددها الصادر يوم ٢٨ يناير  
١٩٣٥ بعنوان :

و فإنك مصرى ، ومنها هذه الأبيات :

أتم صاغراً وارغم حياتك واشقها	فإنك مصرى وإنك مسلم
وإنك بين البيض أسمر كالح	وحظك في الدنيا كجلدك أسمر
وأت أجير في بلادك خادم	وغيرك يستجلى رضاء ويخدم
تولى بأصق درها وتناجها	ويرضيك ما يبق ، ويحكفك درهم
ولا تعتبن يوماً عليه إذا انبرى	يسبك مفتاتاً عليك ويشتم
فتفرك من أن مسه الحيف عافه	وثار عل مستكبر يتهم

ويتهى من هذا التهمك اللاذع ، وهذه السخرية المريبة ، إلى قوله :

فعرى راغماً.. أوقاسم للعرضاريا بعزم ، إذا ما أحجم الجح ، بحجم  
وحزم يصم السمع من هجو كاشح وجد يجب الصمت لا يتكلم

## - ٧ -

ومع أن الأديان بعامه ، والدين الإسلامى بخاصة ، تدعو الناس إلى العدل أولاً ، والإحسان ثانياً ، ومع أن القرآن الكريم ينادى بأجلى بيان « إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » ويصف المؤمنين بأنهم .. « الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » .. إلا أن حب العاجلة ، كان قد استولى على قلوب بعض الناس ، من الذين لا يرقبون في الدين إلا ولا ذمة .. فرأينا بعض رجال الدين في ذلك العهد ، يلوذون بالقصر ، ويتقربون فيه إلى الملك . ويسبحون بحمده ، بل إن بعض مشايخ الطرق الصوفية ، أحياناً ليالٍ رمضان المباركة في دار المنسوب السامى اليريطانى ، وراح بعض المتعلمين منهم ، يفسر الآية الكريمة . « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » على أنها تعنى الخضوع المطلق للحكام ، باعتبارهم أولى الأمر ، وتعلق بعضهم بأذيال أحاديث نسبت إلى الرسول الأعظم ، وهى إما موضوعة في زمن الطغاة من الملوك أو أنها

صحيحة وإنما تأولها المنافقون بما لا يتفق مع الهدف الأصلي لها ، ومن هذه الأحاديث : « إن قلوب الملوك بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء » بمعنى أن الملك لا يلام على فعله بوجه من الوجوه ، حتى ولو كان ظلماً صراحاً لأن ما يفعله ، إنما هو إرادة الله الذي لا أراد لقضائه ، ودعا بعضهم إلى التواكل ، وأن يتخذ الناس عبارة « دُعِ الْمَلِكَ لِمَا لَكَ » شعاراً لهم . هذا إلى آخر ما هناك من آراء وأقوال مفتراة على الدين الصحيح .

ولا أقول هنا إن هذا القول يسرى على كل رجال الدين وإنما أعني البعض منهم الذي كان يمثل الجشع المتغلغل في النفوس ، والطمع الذي ران على القلوب .

والحق إنها كانت محنة ، شقى الناس بها حيناً من الدهر في هذه الفترة من تاريخنا ، غير أن الشعب العربي في مصر ، كان واعياً إلى حد يدعو إلى الإعجاب ، فقد انصرفت جماهيره ، عن هؤلاء الذين انحرفوا عن الجادة السليمة ، وراحت الصحف ذات الطابع الهزلي تسخر بعض مقالاتها ورسومها « الكاريكاتورية » للتيل من هؤلاء وهؤلاء ، وانبرت المجلات الدينية تبين وجهة نظر الدين الصحيحة فيما يدعون ، وتحارب النفاق والرياء ، وتوضح ما كان عليه المسلمون في العصور الأولى ، من حفاظ على الكرامة ، ومقاومة للطغيان ، وما قام به السلف الصالح من تحذير للحكام الذين انحرفوا عن جادة الصواب . . . أولئك العلماء الذين يقفون بهم مسيرتنا التاريخية العظيمة .

\*\*\*

وتأثر « فخرى أبو السعود » بهذه التيارات التي كانت تصطرع من حوله وانحاز بطبيعة تكوينه الفكرى إلى الجانب السليم ، ومن ثم أسهم بقصيدته « الله قد عبدوا ! » ، والتي نشرتها الرسالة في العدد ٨٥ الصادر في ١٨ فبراير ١٩٣٥ ومن هذه القصيدة قوله :

يا قوم من شرعة الإسلام دينكم أن ليس - بعد إلا الواحد الصمد  
الله ليس بحب الدين من أمم لغيره طأطأوا أو غيره عبدوا  
ويستطرد في هذه القصيدة حتى يصل إلى قوله :  
من لي بعهد به آباؤنا ملكوا بكفهم كل ما حلوا وما عقدوا  
لا يقبلون وصاة الأوصياء ولا أحكام من أسرفوا في الحكم أو قصلوا  
الله قد عبدوا ، دون الورى ، وله بذلك في الصلوات الخمس قد شهدوا

## - ٨ -

وكانت هذه التيارات المختلفة ، تحاول أن تأخذ طريقها إلى مفاهيم  
الناس ، ولكن الصحافة ومن خلفها جماهير الشعب ، كانت لا تفتأ تنقد  
هذه الأباطيل التي يراود بها صرف الشعب عن مطالبه الحقيقية وراحت  
هذه الصحف تطالب بعودة دستور سنة ١٩٢٣ تنفيذا لقرار المؤتمر من  
جهة ، ولأنها كانت ترى فيه - على ما به من نقص - أنه الطريقة  
الأكثر مثالية ، التي يمكن أن يجد الشعب في ظلها ما ينشده ، من حكم  
يستطيع أن يصبح رقيقا عليه - ولو إلى حد ما - لو أراد ذلك ، وصمم  
على ما أراد . ولقد بالغ الوفديون في تعظيم هذا الهدف ، حتى كادت  
الأهداف الأخرى تفقد مكانتها تماما وقد كان من بينها الاستقلال التام  
الذي لم يعد هناك من يفكر فيه سوى أفراد قلائل .

• • •

وخشي محمد توفيق نسيم ، أن ينهاون في الاستجابة لهذه المطالبات  
باللستور فتسوء العلاقات التي قامت بينه وبين الوفد ، وبالتالي تتعقد  
الأمر التي قد يؤدي تعقدها إلى انحدار البلاد في هاوية من الحرب الأهلية ،  
فتقدم إلى الملك (فؤاد) بخطاب مؤرخ في ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٥ يلتمس فيه  
أن يتفضل فيأذن بعودة هذا الدستور ، وقد أجابته الملك بخطاب في اليوم نفسه  
مؤداه أن الملك يوافق مبدأيا على اقتراح عودته (١) ، ولكنه لم يتخذ

(١) ص ٢٠٠ من الجزء الثاني من كتاب في أعقاب العودة المصرية لميد الرحمن

ما جاء في خطابه فورا ، ومعنى ذلك أن الملك قام من جانبه ، بتخدير مؤقت لمشاعر الجماهير الثائرة . .

ومرت شهور ثلاثة بعد هذا التصريح ، والشعب ينتظر وفاء الملك بوعد ، وعودة هذا الدستور ، والتقاء النواب بساحة مجلسهم ، ولكن الزمن يمر ، ولم يتحقق شيء من هذا ويتاجى « فخرى أبو السعود » دار النيابة المخلفة بقوله :

يا دار قد عثت بك الأقدار وبغى عليك المعشر الأشرار (١)

ثم يشير بعد أبيات منها ، إلى البرلمان في أول عهده ، عندما لمعت فيه أسماء نواب أحرار ، استطاعوا القيام بواجبهم ، وما تلاهم بعد ذلك من نواب جاء بهم « إسماعيل صدق » إلى هذا المجلس ليكونوا مجرد نمر - كما سمنهم صحافة ذلك العهد - فيقول :

ما كان أفخم ذاك مظهر سؤدد لو دام منه سؤدد وفخار  
غيظ العناية له وكادوا كيلهم حتى علاك الوهن والإفطار  
سدوا الطريق إليك أوبعثوا بمن لا ترضى مصر ولا تختار

وأخيرا يعلن رأيه ، في وجوب عودة الحياة النيابية للبلاد ، وأنه لن يستقيم بناء هذه الأمة ، إلا على الأسس الديمقراطية السليمة ، وأول مظهر من مظاهرها ، وجود النواب الذين يتوبون عنها ويتحلثون باسمها ، في صراحة وصدق وإخلاص ويرقبون مجريات الأمور فيها ، بعين ناقدة وعزيمة قادرة فيقول :

يا دار أنت رجاء مصر وفي سوى ناديك ليست تبلغ الأوطار  
لن يستقيم لآل مصر بناؤهم يوما وركتك بينهم ينهار  
ما دام ربعك موحشا قفرا فلن يلتام شمل أو يعز ذمار  
يبقى بغيرك أمرهم فوضى . . به يلهو اللثام ويعيث الأفرار

(١) قصيدة على دار النيابة العدد ١٠٥ من الرسالة الصادر في ٨ يوليو ١٩٣٥ .

وتغر بعد ذلك أيام وأيام حتى تأتي مناسبة الاحتفال بذكرى وفاة الزعيم  
«سعد زغلول» في أغسطس سنة ١٩٣٥ فيجد «فخرى أبو السعود» أن  
الفرصة سانحة لتذكير الناس بمطالبهم وشخذ همهم وإثارة حملتهم .

ولقد كان لسيرة «سعد زغلول» في ذلك العهد مكانة في وجدان  
الجماهير لا تطاولها سيرة أخرى ، ومن هنا يمكن «لفخرى أبو السعود»  
أن يستغل هذه الناحية ، وأن يتوجه بالحديث إلى «سعد» فيكون  
لحديثه هذا صدى قوى في أذهان الناس ، إذ يرتد إليهم مقرورنا بأبرز  
الأسماء الملهمة الموجية وقتئذ بمعاني الكفاح والبطولة فيتم للشاعر بهذا ،  
التأثير الذي يريد .

ومن ثم نظم قصيدة في هذه المناسبة بعنوان «ذكرى سعد» (١)  
أودعها ما دار في ذهنه من خواطر أثارتها هذه الذكرى ، وعدد فيها  
بعض جرائم الذين اغتصبوا حقوق المواطنين باسم الحكم ، ومن هذه  
القصيدة قوله يخاطب به «سعد زغلول» :

استقبلت بك مصر سالف رفعة	وبدت لأمول النهوض بشائر
فانت ثمان بعد ذاك كأنها	دهر على الوادى المروع داهر
ولدت بها الآمال في إبانها	وتلت سنالك على البلاد دياجر
سرفت زمام الحكم فيها عصية	لا عاد عهدهم الأثيم الناصر
من كان قاع السجن مأوى مثلهم	عمرت محافل باسمهم ومنابر
أجروا على الأهلين ما لم يحره	في سالف الأحقاب غاز فاجر
وتحكموا والأجنبي مظاهر	لهم وجند الأجنبي مناصر
أوهى وأوهن مارأوه شرائع	عشوا علانية بها و «دساتر»

• • •

(١) نشرت بالمجلد ١١١ من الرسالة الصادرة في ١٩ أغسطس ١٩٣٥ .



ولقد أعقب ذلك لون من ألوان التلمر ، سرى في البلاد مريانا  
 حينئذ ، وراح يتلمس الفرصة التي يستطيع أن يعبر فيها عن وجوده  
 تعبيرا عنيقا ، وقد ساحت له هذه الفرصة على أثر خطبة ألقاها  
 « السير صوبل هور » وزير الخارجية البريطانية أيامئذ في قاعة الجولدهول  
 بلندن يوم ٩ من نوفمبر سنة ١٩٣٥ صرح فيها بأن حكومته نصحت  
 حكومة مصر بعدم العودة إلى دستور سنة ١٩٢٣ ولا إلى دستور  
 سنة ١٩٣٠ ، واعتبرت الجماهير المصرية - ولها كل الحق في ذلك -  
 أن هذا التصريح يعتبر تدخلا وقحا من الإنجليز في شئون مصر الداخلية ،  
 ومن هنا انفجر هذا التلمر ، ونحول إلى ثورة شعبية سقط فيها بعض القتلى  
 من المواطنين ، وخشى الملك « فؤاد » العاقبة وسارع حتى لا يتسع  
 الحرق على الراقع ، فوافق على عودة دستور سنة ١٩٢٣ في ١٢ ديسمبر  
 سنة ١٩٣٥ وأعقب ذلك استقالة وزارة « محمد توفيق نسيم » وتكوين  
 وزارة ائتلافية برئاسة « على ماهر باشا » في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ ، ثم  
 كان ما كان من تأليف « الجبهة الوطنية » برئاسة « مصطفى النحاس » زعيم  
 حزب الوفد المصري ، التي انتهت إلى عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ التي سماها  
 مصطفى النحاس يومئذ « معاهدة الشرف والاستقلال » (١) وبذلك انتهت  
 مرحلة من مراحل تاريخ مصر الحديثة .

## - ١٠ -

لست أشك ، بعد هذا العرض السريع ، لهذه المرحلة من مراحل كفاحنا ،  
 وبعد هذا التحليل الموجز أيضا للمدى تجاوب « فخرى أبو السعود » وعواطفه  
 مع هذه المراحل وكيف كان في شعره معبرا عن أحاسيسه ، أن القارئ  
 قد ألم بالإماما كافيا ، باتجاه فخرى السياسي وقدر فيه لإيمانه بوطنه ،  
 وإخلاصه له ، وتقانيه في حبه . على أني أعتقد كذلك أن الشاعر استفاد  
 من فترة إقامته بالإنجلترا في أثناء تلقيه للدراسة بصرف النظر عن العلماء  
 المستحكم بينه وبين الإنجليز - الأمر الذي يتضح جليا في قصائده - إذ

(١) يجب التمسك بالمصرى - فيما به - مصطفى النحاس نفسه أن يعلن إلغاء هذه  
 المعاهدة سنة ١٩٥٠ . بهد أن كشف الزمن زيفها . وبما أن على حقيقة « فخرى » باطلته .

عرف قيمة الحرية ، التي يعيش فيها الشعب الإنجليزي ، ومدى تمسكه بالديمقراطية المنبثقة منها ، فأمن الشعب بها إيمانا عميقا ، ومن ثم ود تطبيقها في مصر تطبيقا يتسم بفهمه العميق لها ، وقد اتضح ذلك الإيمان ؛ وهذا الفهم ، في مقال كتبه « فخرى أبو السعود » ونشرته مجلة الهلال ، بعددها الصادر أول يونيو سنة ١٩٤٠ (١) أى قبل وفاته ببضعة أشهر وقد جاء في هذا المقال قوله :

« .. إن أول شروط الدولة الصالحة أن تدع للأفراد أوفر قسط ممكن من الحرية لأن الإنسان يعشقها بطبعه ، ولأن الحرية لازمة لنشاطه الفكري ونجاحه المادى ، ثم إن حرية الفكر أو الاجتماع ، لازمة لأفراد رقى المجتمع ، وتوثيق العلاقة بين الشعب والحكومة ، لأن الحكومة التي تريد مختصة ، خدمة مصالح الشعب ، وتحقيق رغباته ، لا بد لها أن تعرف ما تلك المصالح والرغبات ، ولا سبيل إلى معرفتها ، إلا بالإصغاء إلى صوت الشعب ؛ مثلاً في كلامه وخطاباته وكتبه وصحافته واجتماعاته ، ويمكن تقدير مدى إخلاص الحكومة في خدمة شعبها بمقدار الحرية التي تركها له في نقدها ولن تقيد حرية الفكر في دولة إلا أن تكون هناك مساوئ يراود حمايتها ؛ وامتيازات جائرة يخشى عليها من صوت العدل .. » .

ولم تكن نظرة « فخرى أبو السعود » إلى الحرية مجرد نظرة مثالية ، ولكنه كان يفهم قيمة الأسس الحقيقية التي يجب أن تقوم عليها هذه الحرية ، بحيث إذا فقدت هذه الأسس ؛ أو أجزاء منها ، كانت الحرية الناجمة عن هذا الفقد . . مجرد ألفاظ براقة لا تحتوى من الحرية على أى مضمون ، أو يكون المضمون فيها مساوياً للأجزاء المستكملة من هذه الأسس الضرورية ، والحرية في نظر « فخرى أبو السعود » يجب أن تقوم أولاً ، وقبل كل شيء ، على قاعدة من العدالة الاجتماعية ، وإيضاحاً لوجهة نظره هذه يقول في مقاله السالف الذكر « .. لن تتولد الحرية في دولة حتى تتولد معها المساواة ، لأنه إذا كانت هناك طبقة ممتازة على

غيرها بامتلاك القوة والحق في الحكم ، فلذا تتوفر على مصالحها الخاصة وتعمل جهلها لغبن الطبقة المحرومة ، ومن ثم تجب المساواة بين جميع الطبقات سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، إن الطبقة المزوية عن الاشتراك في التشريع والتنفيذ ، ستمل مصالحها الاقتصادية والاجتماعية عند تنفيذها . إن الناس مختلفون ، ذكاء واقتداراً . . وهذا الاختلاف الطبيعي وحده هو الذى يجب أن يعين الفرق بينهم . . لا القوانين التعسفية التى تضعها الدولة التى تحبب بها طبقة أو طائفة أو جنسا أو أتباع مذهب معين . .

وقد أكد « فخرى أبو السعود » فى هذا المقال : « إن عدم المساواة فى شتى عصور التاريخ كان من أكبر أسباب الثورات » .

ولاشك فى أن أكثر هذه الأفكار ناضجة ، بل إن أفكاراً مماثلة مستفاد من الاحتياجات الحقيقية لشعبنا ، كانت فى تقدير رجال ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولهذا بادروا بتنفيذها عند ما تمت لهم « أمنية هذا الشعب الكبرى » بالقضاء على الملكية الفاسدة ، والطغیان الإقطاعى والرأسمالى وفى هذه الأفكار أيضا دليل واضح ، على تقدمية هذا الشاعر ، فى اتجاهاته السياسية والاجتماعية ، فلذا قدرنا أن الشاعر لحقته منيته ، وهو فى الثلاثين من عمره ، أدركنا أن خيرا كثيرا ، كان من المتوقع أن يصدر عنه لو امتد به الأجل . غير أن لحظة من لحظات اليأس القاتلة ، كانت أقوى عليه من أملنا فى خيره الكثير .

## - ١١ -

وقبل أن نختم هذا الفصل الذى أفردناه عن الشعر الوطنى عند « فخرى أبو السعود » نحب أن ننقل معه إلى أفق أوسع مدى ، بحيث تشمل نظراته الشعرية العالم أجمع وتمس جانبا من جوانب الإنسانية ، بهم البشرية بأسرها ، فقد اشتعلت الحرب العالمية الثانية ، كما نعلم ، فى أواخر سنة ١٩٣٩ باجتياح ألمانيا النازية لحدود بولندا ، واهتمت مصر بهذا الحادث ، لارتباطها مع إنجلترا بمعامدة ١٩٣٦ ، التى ينص أحد بنودها باستخدام إنجلترا للأراضي المصرية فى حالة وقوع الحرب

أو احتمال وقوعها ، وكانت إنجلترا قد أعلنت عن نفسها ، طرفاً في  
هذه الحرب التي قامت :

وأصدرت مجلة الهلال عدداً خاصاً عن الحرب في نوفمبر سنة ١٩٣٩  
ضم عدداً من المقالات التي تلور حول هذا الموضوع ، وكان من بينها  
قصيدة « لفخرى أبو السعود » بعنوان « الحرب » ويتجه الشاعر  
في هذه القصيدة إلى المقارنة بين الأجداد الحربية التي تنسب في العادة  
إلى القواد ، وبين المضائب التي تصيب الذين يتعرضون لويلاتها . .  
وبخاصة عندما تأكل ثمراتها المدن الآمنة ، ويشمل أذاها الذين لاناقة  
لم فيها ولا جمل ، ومن ثم يتحولون إلى فقيد ، أو مشوه ، أو ضائع  
لا يهتدى إلى مصير ، وقد جاء في هذه القصيدة قوله ، والخطاب  
هنا موجه إلى الحرب :

لأجلك قدما مجد البيض والقنا	وشهب من الجرد العتاق وجون
وغنت أيام الغزاة قصائد	جياذ على مر الدهور عيون
وقامت لهم بين الحواضر إذ مضوا	تمائيل تحكي مجدهم وتصون
فهلأ أقاموا لأن طحتهمو	تمائيل تحكي حاتم وتبين
لكل يرى ما جناها ولا بغى	وكان وقوداً حين شب أنون
ومن أخذت من وجهة النار والظي	ومن بان منه صاعداً ويمين
ومن غاب راعيها ويتم طفلها	ومن ربح عنه صاحب وخدين
وزيت أعياد من النصر تنطوي	ماتم في أطوائها وشجون

## - ١٢ -

وبجاء العدد التالي من المجلة نفسها « الهلال » أي عدد ديسمبر ١٩٣٩  
وهو يحمل قصيدة أخرى « لفخرى أبو السعود » يتحدث فيها عن عصبة الأمم  
والأخيت السابقة لحية الأمم المتحدة ، فيبين كيف انهارت الآمال التي كانت  
معلقة عليها وكيف أصبحت بناية السلام ، مجرد أحجار صماء ، بينما

راحت الحرب تنق في كل مكان ، وذلك لأن الذين أقاموها ، لم يكونوا  
 على إيمان وثيق بما يقيمون ، ومن هذه القصيدة نختار هذه الأبيات :  
 قيل «السلام» وشادوا الدار عالية      باليتهم إذ دعوا للسلام ما مانوا  
 باليتهم نزعوا ما في أكفهم      في الأكف منيات وعلوان  
 باليتهم نزعوا ما في جوائنهم      في الجوائن ثارات وأصغان  
 هنى أرائكها ساد السكون بها      وفي منابرها صمت وإذعان  
 دار السلام مخلاة معطلة      وللحديد يدور الحرب إرنان

### - ١٣ -

هكلنا كان شعور « فخري أبو السعود » نحو الحرب التي قامت على  
 ساقها في أوروبا ، ثم ما لبثت أن امتدت أطرافها فغطت ربوع المغرب  
 والمشرق ، ما أتت في طريقها على شيء إلا جعلته هشيما ، حتى بات  
 العالم كله في أتون لا ينجو أواره ، وضل السلام فلم يجد أمامه من سبيل ،  
 لعدة سنوات مرت عجايفا تبعث الموت في كل مكان ..

ولقد كان الشاعر على حق في هذا الشعور المرير ، نحو هذه الحرب  
 التي ما زالت البشرية تعاني من آثارها إلى الآن ، والتي كان الشاعر نفسه  
 من أوائل ضحاياها ، إذ كانت - كما طالعنا قصة حياته - هي التي صنعت  
 قمة مأساته ، التي لم يستطع أن يقوم بأداء دوره فيها ، بل ما لبث أن  
 انهار أشلاء دامية فوق جدارها المنهار .



حذاء والشاعر

## الشعر الوجداني « فخرى أبو السعود »

الأدب الذاتي الذي يتناول الإنسان من حيث كيانه الخاص ، وصلته المحدودة بالأقربين إليه ، وتأثره بما يتصل به مباشرة من أحداث ، ومشكلاته التي لا تتم أحدا سواه ، إلا بالقدر الذي يجد فيه غيره ، صورة من مشكلاته هو ، فيكون في هذا مدعاة للتعاطف والمشاركة الوجدانية :

هذا الأدب أسبق في ظهوره من الأدب الموضوعي الذي يتناول الظواهر العامة في المجتمع الذي يعيش فيه الأديب ، أو الطبيعة التي تحيط به ، على أن يتعمقها في عمله الفني بحيث تستحوذ على القسم الأكبر منه ، إذ يبدأ الإنتاج الأدبي عادة في صورة تعبير منمق ، يعبر به الإنسان عن خوافره العاجلة ، وأحاسيسه السانحة وتجاريبه الحاضرة ، ثم يرسل ذلك في صورة أقوال سائرة أو أبيات شاردة ، على أنه من التعسف أن نفضل أحد اللونين ، الذاتي ، أو الموضوعي ، على الآخر ، وذلك أن للذاتي محاسنه ، وللموضوعي مزاياه . .

وقد استأثر حديثنا عن « حياة فخرى أبو السعود وشعره » الذي اففتحنا به هذا الكتاب بما نريد أن نتناوله عن عرض للشعر الوجداني عند الشاعر فقد استشهدنا في ذلك الحديث بنماذج من شعر الشاعر نعتقد أن فيه الكفاية ، وذلك في أثناء عرضنا لمراحل تطور حالته النفسية التي أدت في النهاية إلى مأساته ، ولكنني أضيف إلى هذا حديثا موجزا عن : « المرأة في حياة فخرى أبو السعود وشعره » حتى يمكن الإلمام إلى حد ما بأغلب النواحي الوجدانية عنده . .



## المرأة والشاعر

أعتقد أن الحياة الجادة التي أخذ فخري أبوالمعود نفسه بها في مطالع شبابه لم تنح له أن يستغرق في حب الأنثى ، ولا أن يتغزل في جمالها ، بالقدر الذي يتاح عادة للشبان أمثاله وإن كانت حصيلته من دراسة فنون الشعر قد أعطته محصولا نظريا لا بأس به من المفاهيم التي تدور حول هذا الموضوع . كذلك كان أثر دراساته للأدب الإنجليزي ، شعره ونثره ، عميقا في تكوين اتجاهه الشعري نحو المرأة ، فالرأى الذي نخرج به من مطالعنا لمقالاته النقدية يمكن تلخيصه — بالنسبة للمرأة — في أنه يعارض بكل ما يملك من قوة نظرة الشعراء الحسية إليها ، ويأخذ على الشعراء العرب القدماء اهتمامهم المفرط بعرض المفاصل الجسدية لها (١) ، وفي تحليله للجمال ، نرى أنه يساوى بين جمال الطبيعة والجمال الإنساني ، من حيث النظرة العامة لهما ، ووجوب أن تكون النظرة إليهما نظرة افتتان لا اشتها ، «الجمال هو مادة الفن» ، «والتأثير به هو وحي الأديب . والتعبير عنه هو رسالة الأدب ، سيان جمال الطبيعة أو الجمال الإنساني ، وأصلى معيار لرقى الأدب وحيويته هو حسن تعبيره عن الفتنه بهذين الضربين . . . » (٢) — وهو يحاول دائما أن يربط بين المرأة والسلوك الأخلاقي «للمرأة أثرها الخطير في المجتمع ، ولمرتلتها من الارتفاع أو الانخفاض أوثق الصلات بتقديم المجتمع أو بتأخره» ، ولنظرة الرجل إليها ومعاملته إياها أبلغ الدلالة على سمو الأخلاق أو تلذذها . . . » (٣) . وهو

(١) راجع مقاله هذا في عدد الرسالة ١ سبتمبر ١٩٣٦ أو بالمختصرات النقدية .

(٢) الرسالة عدد ١٨ يناير ١٩٣٧ مقال عن التمييز .

(٣) مقاله عن أثر المرأة في الأدب الرسالة عدد ١٤ يونيو ١٩٣٧ .

ينظر إلى الغزل الإنجليزي بإعجاب لأنه « يمتاز بسمو العاطفة ، والترفع عن ذكر الشهوات ، والأوصاف الجنسية . . » (١) .

ولم يذكر - فيما قرأت له - أوصافا جدية للمرأة ، إلا مرة واحدة جاءت في قصيدته « ذهب الشباب » (٢) وإن كان ما ذكره فيها لا يثير رغبة وإنما بالعكس ، يخلق تقورا في نفس قارئه .

قد جف عودك والصبا ما زال في أعطاف غيرك ناضرا يترقب  
أثوت بقدرك بعد لين مهزه غير الزمان وما عليها موثق  
رهله من حيث تجمل دقة وهزلنه حيث الجزالة أخلق  
ومع ذلك فإن هذه الأبيات الثلاثة ، لا تنطوي على تشريح دقيق للجسد الأنثوي ، كالذي كان يصنعه الشعراء المجاعون القدامى ، وليس في الأمر أكثر من تلميح لترهل جزء ، وهزال جزء آخر من الجسد الأنثوي الذي أمامه ، على أننا لاستطيع أن نسمى « فخرى أبو السعود » شاعرا غزليا نظرا لقلة النماذج التي قدمها لنا في هذا المجال إنما نحاول - في حدود إمكانياتنا - أن نتلمس مكان المرأة على اختلاف نظراته إليها في شعره ، وسنجد أن لها في مجموعة الشعر التي بين أيدينا ثلاث شخصيات سنتناولها بشيء من التحليل الموجز .

## - ٢ -

وأولى هذه الشخصيات في تقديرنا ، من حيث وجوب البدء بتناولها ، هي شخصية السيدة والدته ، باعتبار أنها المدرسة الأولى التي تربى الشاعر بين أحضانها ، وكان لها بلا شك أول تأثير مباشر على تكوينه السلوكي وهي - كما تبدو في الصور التي قلّمها لنا الشاعر في رثائه لها (٣) - سيدة وقور مؤمنة تقيّة تؤدي الصلاة في أوقاتها .

(١) الرسالة عدد ٧ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٢) الرسالة عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٣٥ .

(٣) نشرت القصيدة المالية بعنوان ياليتني بجلة الرسالة الصادرة في أول أغسطس

١٩٣٣ والهائية بعنوان نمي بالرسالة عدد أول نوفمبر ١٩٣٣ واللامية بعنوان ذكرى العام

بالرسالة في ١٥ نوفمبر ١٩٣٣ .

عبرت مواقيت الصلاة فلم تجد  
ولكم نهضت لها الدجى قوامه  
تبغين رضوان الإله تعالى  
وهي تصوم رمضان وتعد العدة للقائه ، وتبتهج بوروده ، لولا أن  
الموت تداركها .

ومضى الصيام فلم تحي وجهه  
ولكم سعت له وكنت خفية  
سمحا ولم تستقبله هلالا  
بأبي الشهور مهابة وجلالا  
وهي شديدة الخدب على الشاعر :

أ - روح فقدت حنانها البرالى لا يستظل بمثله أن يفقد  
ب - كثر من الود لم أقدر نقاسته حتى دهاني محنوم الردى فيه  
أمسيت أبحث عن محض الوداد سدى وكان لى أمس أقصى ما أرجيه  
وهو يؤكد فى هذه القصائد حبه لها ، وتعلقه بها :

أ - مضى الذى حطمت قلبى منيته ومن وددت بروحى لو أفديه  
ب - ومن برغمى أنى قد حيت وقد حواه فى الأرض جاني الحنن ناويه  
ج - ما كان غير صميم ودك من هوى أخشى عليه الموت إن هو صالا  
ولقد ماتت هذه الأم الرعوم فى أثناء إقامته بالنجف ، فى فترة الدراسة ،  
ولذلك كان شعوره بالفراق ألما وقاسيا ، يمكن أن نحس أثره فى هذه  
الآيات :

يا ليتنى قد كنت حاضر يومها  
وشهدت أنها بلين مهدها  
وسعلت قبل رحيلها بتروء  
ورأيت سكنتها بجافى المرقء  
لما نهضت أوصاب داء مسقم  
ورمت قيود معيشة ما عاشها  
ولا حنارى أن يفجعها الأسمى  
ويؤدها صرف الحمام المعتنى  
لوددت لو عاشت وكنت أنا الردى  
لوددت لو عاشت وكنت أنا الردى

ولترك هذه السيدة الوقور في مرقدها الأخير ، ولمنكت لحظات مع تلك السيدة الإنجليزية التي شاء لها القدر أن تعيش مع الشاعر بضعة أعوام والتي كان أثرها عميقا في السنوات الأخيرة من حياته .

ونحن نعلم أنهما تعارفا في أثناء زماتهما في كلية « اكستر » بمقاطعة « ديفونشير » بانجلترا ، إذ أنس إليها في غربته ، للمائة أخلاقها ، وبعدها عن عجرفة قومها ، وأنست إليه ، بلحده واهتمامه بموضوع دراسته وانتهت صداقتهما هذه بالزواج . وعاد معها من انجلترا واستقرا معا بالإسكندرية وكان ثمره زواجهما طفلا صغيرا شديد التعلق بأبيه ، وقد انتهت حياة هذا الطفل بأن طوته أمواج المحيط مع مجموعة من رفاقه الأطفال الإنجليز ، على أثر ضرب غواصة ألمانية للسفينة التي كانت تقلهم إلى كندا .

ونعرف كذلك أن هذه السيدة سافرت إلى انجلترا قبيل الحرب العالمية الثانية ولم يعد زوجها يسمع عنها بعد ذلك خبرا ، وأن هذين الحادثين أوهنا من صبره ، فلم تعد عزمته تتحمل من أعباء الحياة فوق ما تحملت ، وانتهى به يأسه ، إلى منصرفه من نهايته المقبحة ، وقد عرفنا أن « فخرى أبو السعود » وزوجته الإنجليزية كانا مؤلفين اثتلافاً عجيباً ، وأنها لم تكن تختلف معه في شيء يراه ؛ ويمكن أن نستنتج من القصة التي حدثنا عنها الدكتور زكي نجيب محمود (١) أنها كانت بمثابة ظل له ، تدبج الوجهة التي يتجهها أبا كانت ، حتى إنه لما حرم على نفسه اللحم وافقته على رأيه وأصبحت نباتية معه ، ومعنى ذلك أنها كانت - فيما اعتقد - بلا شخصية يمكن أن تتفاعل معه على قدم المساواة ، مثبتة وجودها الفعلي ؛ ككائن حي له وجوده ؛ وأنها ليست ظلا باهتاً ، واعتقد أن شعورها بتبجيتها المطلقة له كانت

(١) الدكتور زكي نجيب محمود في مقاله عن فخرى أبو السعود بمجلة الثقافة عدد

٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠ .

سبباً في مله من هذه الحياة الرتيبة التي يعيشها ، وأظن أنها كانت أحد المصادر التي لونت شعره خلال هذه السنوات كلها بهذا اللون القاتم الكئيب ؛ وأعتقد كذلك أن هذا الشعور هو السبب الذي دفعه إلى أن يطلب من زوجته أن تعتمد عنه ؛ وأن تعود إليه ؛ حتى يحس في هذا البعد والقرب بكيانها الذي ذاب فيه ؛ فلم يعد يشعر بوجودها ؛ ونحن نشير بذلك إلى قصيدته « البعاد » التي سبق لنا أن استشهدنا بأبيات منها<sup>(١)</sup> والتي نورد منها هنا بضعة أبيات أخرى ؛ تؤكد المعنى المقصود من هذه الإشارة :

لأحب اللقاء عبلاً مقيماً مستمراً به نقضى السنينا  
ما ألد الهوى أمّا ووداعاً وكتاباً أدى التحايا أمينا  
إن هذا البعاد يبعث في الأشواق حرى ويستجيش الحنينا  
وأحب الأيام عندى ما أرقب فيه لقائك الميمونا  
وتزيدن في البعاد جمالا ورواء وبهجة وفتونا  
وتزيدن في الشاغل إيناسا وعطفاً كما أحب ولينا

#### - ٤ -

وننتقل بعد ذلك إلى الشخصية النسائية الثالثة في حياة و فخرى أبو السعود « فرى أنها شخصية سيدة تكبره قليلا ؛ وأن وداً سابقا كان يربط بينهما ؛ وربما كان سفره إلى إنجلترا هو الذي حال بينهما ؛ وبين توثيق هذا الود ؛ ونحن نحاول التعرف على هذه الشخصية من خلال قصيدتين حفظتهما لنساء مجلة الرسالة ؛ تروى الأولى منهما قصة لقاء حدث في سنة ١٩٣٥ ؛ ويبدو لنا « فخرى أبو السعود من خلال قصيدته التي وصف بها هذا اللقاء والتي سماها « ذهب الشباب »<sup>(٢)</sup> أنه كان جافاً تغلب عليه صراحته ، ويتعبّر آخر أنه لم يكن محباً لبقا ؛ فهو هنا يلتزم بها بعد فترة طويلة ؛ كان الزمن

(١) الرسالة ٤ أكتوبر ١٩٣٧ .

(٢) الرسالة ٢٢ سبتمبر ١٩٣٥ .

خلالها ، قد أغار على جمالها ؛ فنالت قسوته منه مانالت ؛ ثم تركها  
ليقول لنا « فخرى أبو السعود » فيها :

ذهب الشباب وغاض ذاك الرونى	لم يبق إلا حسرة وتحرق
لم يبق إلا ذكر عهد زائل	إذ أنت أملح من يحب ويعشق
حال الجمال فلا قوام مرهف	يصبى النفوس ولا يحيا مشرق
ما أنت إلا الروض صوح بعد إذ	هو مثمر نضر الأزاهر مورك
ولقد يحاد الروض بعد جفافه	ويجد من أيراده ما يخلق
وأرى جمالك ليس يبعث مية	شمس تضيء ولا غمام يقدق
ولقد يلوق الزهر بعد ذبوله	وتظل منه ريحة تنشق
ورأيت حسنك حين أدبر لم يذر	إلا قذى يؤذى العيون ويوبق

ويعود فى هذه القصيدة إلى الماضى يوم أن كان يتودد إليها من يتودد ،  
فلا يجد غير دلال الصبا ، وشموس الحسن ، فيتعرض لذلك فى شماتة  
وسخرية ويقول :

وتبدل الطبع المحب ، لم يعد	دل يشوق ، ولا شمائل تمسح
ومضى شماس ، كان فيك ، سجية	واليوم ، فيك وداعة وترفق
واليوم فيك ، تلتطف ومودة	كم كان يخطبها المحب الشيق
سكنت نفوس كنت أنت هناها	ولعلك اليوم المعنى المقلق

ذلك هو الذى حدث فى سنة ١٩٣٥ فماذا كان بعد ذلك ؟ .

• • •

إن عامين مرا بعد هذا اللقاء ، كان لهما أعمق الأثر فى تكوين  
نظرة « فخرى أبو السعود » إلى هذه السيدة ، عندما التقى بها مرة أخرى ،  
ذلك لأن السأم من حياته الرتيبة ، كان قد تسرب إلى قلبه ، لقد جف  
النبيذ الذى رواه يوما ما ، وأصبح فى حاجة إلى نبيذ جديد .

وها هو ذا بعد عامين يلتقى بهذه الصديقة القديمة ، ولكنه كان قد تغير في هذه المرة فهو يتلقاها بصدر رحب ، وب عاطفة يتعاقق فيها الحزن والحب والشوق كذلك ، ويودع ذلك كله قصيدته « تليد من جمال » ، التي توشك أن تكون غزلا ساميا فيه جمال وروعة . وإنما ليتعاقق فيها التودد والتدليل ، والذكريات الجميلة ، كل ذلك في نسق من الشعر رصين ، فلذا لحظنا أنه نشرها بالرسالة يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وأنه نشر قصيدته « البعاد » التي وجهها إلى زوجته الإنجليزية والتي تميزت بروح الملل في الرسالة يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ أدركنا مدى التغير الذي حدث له والذي من أثره كانت هذه القصيدة التي نوردها كلها هنا إذ أنها أقدر على التعبير ، في هذا المجال . . يقول « فخرى أبو السعود » في قصيدته « تليد من جمال » :

رائع والله هذا الوجه حلل القسما  
معجب الحسن وسيم رغم صيف السنوات  
رغم شيب قد تمشى في المصاني والسمات  
لم يزل حسنك رغم الشيب يسبي المهجات  
يأسر اللب وينسى كل علقاء مهارة  
غضة الجسم توافت كنضير الزهرات  
غرة القلب لعبوب خطرت كالنسمات  
رائع حسنك من بين وجوه الغائيات  
ووضئ يجلب الأعين دون الأخريات  
رائع كالشفق الغارب يذكى اللهفات  
ينبيء الناظر عن ماضى الحلى والحسنات  
وتليد من جمال كان ممنوع اللغات  
كان شغل العابديه وعناء العاذلات

لم يزل ينبى عنه عذب تلك البسات  
وأرى أطيافه فى حسن تلك اللحظات  
إن يكن قد ودع الطيش وسحر اللغات  
وغير الضحكات وطروب الثرات  
فقد اعتاض بحلم ووقار وأناة  
وبأشتات التجارب وجم الذكريات  
قد جنى حلوا من العيش ومر الحادثات  
فهو يسى اليوم بالحسن ويسى بالصفات  
وأحاديث عذاب كشفى الثمرات (١)

#### - ٥ -

وثمة ملامح أخرى فى شعره تستشف منها تقديره للحسن الأثوى ،  
وتدين فيها بوضوح إعجابه ببعض واكب الفتنة التى تشرق فى مجالى  
الإسكندرية وبخاصة فى مهرجانات الصيف التى تدأى على شاطئها البهيج .  
ولقد تشعر أحيانا ، بنغمة حزن ، أو حرقة حرمان يخنم بها بعض  
أغانيه المنظومة فى هذا الشأن ، والتى قد يكون مصدرها ذلك السأم  
الذى أشرنا إليه فيما سبق . .

على أننا بدلا من أن نستطرد فى تحليل تلك الظاهرة ، نرى أن نختم  
هذا الفصل بهذه الأبيات التى يتوجه الشاعر بالخطاب فيها إلى البحر ،  
ثم يفصح فيها عن ذات نفسه وما يعتل فيها من أصداء وخواطر ، فقد

(١) مما يجدر بنا الإشارة إليه أن هذه القصيدة أيضا منظومة على نسق قصيدة  
لمبد الرحمن شكرى الذى كان وقتئذ ناضرا للمدرسة الميمنية الثانوية وكان فخرى  
ابن السمود فى هذه الفترة مدرسا بهذه المدرسة ويقول شكرى فى مطلع قصيدته :  
ياوضه البسات وحى الوجبات  
ليت فى مرك الخلالا كالتلال النقبات  
أنت فى الدهر اجسام كاجسام الزهرات .. الخ



يخرج القارىء منها بمضمون آخر غير ما كنا نهدف إليه .. فإن الذى لبيده  
هنا ، هو مجرد استقراء قد تخطى فيه أو نصيب .

يقول « فخرى أبو السعود » فى قصيدته « الحول قد حال » وقد نشرها  
بالرسالة العدد ١٥٥ فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٦ : والخطاب هنا موجه  
إلى البحر :

جمعت عندك آى الحسن قاطبة	وطبت يا بحر أسحارا وأصالا
إن كنت لم تجل حورا فيك عارية	كما روى شاعر قدما وهأخالا
فكم على جانبيك اليوم من فن	لم تحو أسطورة منهن أمثالا
غيد بلجك أو بالرمل صارحة	رفلن فى الحسن أعطافا وأوصالا
الطرف منهن مثر مصرف بدخ	والقلب يتدب إعصارا وإقلالا
سبحان من أرسل الأحداق فى طلق	وحمل القلب فى الأضلاع أغلالا
يا من عرضتم فغادرتم جوانحننا	حرى ، وقد نال منها الشوق مانالا
بالرغم منى أن تمضوا على عجل	ولا يكون وداد بيتنا طالا



الشاعر الوصف

## الشاعر الوصاف

- ١ -

يقول الأستاذ « محمد عبد الغنى حسن » فى كتابه « أعلام من الشرق والغرب » عن زميله الشاعر « فخرى أبوالسعود » إنه كان رساما وصافا شاعرا (١) ، والأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى هذا يمثل الكثيرين من الذين قرءوا قصائد « فخرى أبوالسعود » ثم انبها إلى هذا الرأى ، فقد كان الشاعر رساما مصورا فى وصفه حقا ، يخيل إليك إذا أنت قرأت قصيدة من شعره الوصفى ، أنك أمام صورة حية ، تحس وتشعر ، وتتحرك ، حتى ولو كانت هذه الصورة للجناد لا يحس ، ولا يشعر ، ولا يتحرك .

قرأت مرة قصيدة له يصف فيها تمثالا لأعمى ، فلم أشك فى أنه يصف الأعمى نفسه وليس التمثال ، بل خيل إلى لدقة الوصف وعق تأثيره فى نفس سامعه أنى أرى ذلك الأعمى وقد

بسط الكف وثبى بالقدم	وابتنى السعى فأعيا فوجم
وانحنى معتمدا عكازة	علها تهديه فى تلك الظلم
مرهفا أذنيه لو أسعدتا	فاغرا فاه وهل يهديه فم
يجهدا عينيه من حملقة	فى ظلام مترام مدلهم
عبثا يمعن فى تلك الدجى	وهو يدرى أنها لا تحترم
جهدت سبأؤه فى هديه	وتغشتها تياريح الألم
لم يسر من خطوة فى أثرها	خطوة إلا تأنى واستجم

(١) نشر دار الفكر العربى صفحة ١٢٤ وما بعدها .

عمره ليل طويل ماله كوكب يبلو ولا صبح يعم  
 ليس يدرى الصبح ألا خبرا قد رووه أو حديثا قد زعم (١)  
 فنحن هنا نشارك هذا الأعمى ، لا في مظهره الخارجى فحسب ؛  
 وإنما في أحاسيسه الداخلية أيضا ، ثم لانملك فى نهاية المقطوعة ،  
 إلا أن نعطف عليه ، وأن نقدر مأساته ، وفى رأى أن الشاعر وفق  
 فى نقل هذه الصورة النفسية والخلقية معا إلينا ، إلى حد كبير .

## - ٢ -

ومع أن « فخرى أبو السعود » يرى فى إحدى مقالاته النقدية ،  
 أن خير الوصف ليس هو الذى يحيط بكل حقائق الموصوف ، ويحصى  
 كل دقائق أجزائه ؛ كما تفعل الصورة الشمسية ؛ وإنما خير ما  
 أظهر المهم الرائع من أجزاء الصورة وأبان عن أثرها فى النفس (٢)  
 إلا أننا نلاحظ أنه فى أغلب قصائده الوصفية يميل إلى العرض الدقيق  
 لأجزاء الصورة وإبراز أغلب هذه الأجزاء وإن لم يفته محاولة ترك الأثر النفسى  
 لها عند الملتقى ، نلمح هذا على سبيل المثال فى قصيدة « السكك الحديدية »  
 تحت الأرض ، (٣) التى تكون وصفا تفصيليا لمشهد من المشاهد التى  
 رآها فى لندن ، وكانت غريبة عليه ومن ثم تركت انطباعاتها واضحة فى هذه  
 القصيدة التى نختار منها هذه الأبيات :

جرت مفاوزها فى كل ناحية فلم تزل تتلاقى ثم تنشعب  
 ظلمات جون كأحجار الأرقام قد مدوا لها سببا فى إثره سبب  
 تجرى بها مركبات ما يزال لها تحت الثرى والدياجى مسلك عجب  
 سرى بها دافع للكهرباء فلم تقذف دخانا ولم يفر بها نهب

(١) قصيدة تمثال الأعمى ص ٤٠ من الثقافة عدد ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٩ العدد

(٢) الرسالة مقال نشر فى ٣ مايو ١٩٣٧ .

(٣) الرسالة فى ٢٩ يناير ١٩٣٤ العدد ٣٠ .

شتيمة الوجه إذ تنسل هاربة      مثل الثعابين في أنيابها العطب  
ترى على سفر طول الملى فإذا      حواتها صفرت سالت بها القضب  
إن يبتغوا انطلقت أو يبتغوا وقت      لم تشك أينما ولم يعلق بها لغب  
يرمى بها تفق داج إلى تفق      وينطوى سرب من بعده سرب  
كأنما هي سعادة بها كلب      أو أنها طالب قد شفه الطلب  
تظل تقطع أنحاء المدينة لم      يشعر على الأرض من جاعوا ومن ذعروا  
وتثنى في الدياجى غير حافلة      بمن مشوا في ركاب الشمس أو ركبوها  
وكذلك صنع في قصيدة « عطل » التي صور فيها مشهدا من مشاهد  
الصراع النفسى عند « عطل » حينما أخذت تعصف به الغيرة والشكوك التي  
أشعلتها غيمة « ياجو » ضد زوجه « ديلمونه » وقد أوردنا هذه القصيدة  
كاملة ضمن ملحقات المختارات نظرا لمتابع الوقائع النفسية ولتلاحم أجزائها  
تلاحما يصعب معه بتر جزء من أجزائها .

### - ٣ -

كذلك كان للطبيعة مجالها ، الممتدة مرامية في شعر « فخرى أبو السعود »  
بل إن احتفائه بها لا يكاد يدانيه احتفائه آخر بذله الشاعر لأى لون من  
ألوان الشعر التي عالجها ، فإن الطبيعة عنده هي « ألف الشاعر الحميم وتوأم  
روحه ، ومرتع فكره ، ومتاع بصره ، ومهبط وحيه ، ومعاهد متعاته  
وذكرياته ، إلى ظلالها يسكن ، وبين محاسنها يهيم وعندما ينفض أو شاب  
العيش ، ويستريح فكره الذى أضناه التعب » (١) .

وهو ينعى في المقال نفسه - على الشعراء العرب ، أنه قلما جاءت أو صاف  
محاسن الطبيعة مقصودة لذاتها مستقلة بنفسها في قصائدهم ، وإنما تأتي في  
الأغلب عرضا في ثنايا القصيدة . .

وهو يرى ، أن أغلب شعر الطبيعة في العربية - على قاته .. تنقصه

(١) الرسالة مقال عن الطبيعة نشره فخرى في ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ .

حرارة الشغف بها ، وإدمان التأمل في محاسنها ، ومحاولة النفاذ إلى معانيها ،  
وهو يعمد إلى المقارنة بين قول « أبي نواس » يصف بعض الزهر :

عيون من لجين شاخصات      بأبصار هي النهب السيك  
على قضب الزبرجد شاهدات      بأن الله ليس له شريك  
وقول أبي تمام :

صبغ الندى لولا بدائع لطفه      ما عاد أخضر بعد إذ هو أصفر  
وبين قول الشاعر الإنجليزي « تينسون » في زهرة ضئيلة :

« أيتها الزهرة النامية بين شقوق الجدار  
ها قد انتزعتك أنامل  
وها أنت كللك محمولة في كفى  
بيد أنى لو استطعت استكناه سرى  
لعرفت سر الله والإنسان جميعاً .. »

ويخرج « فخرى أبو السعود » من هذه المقارنة بأن في موقف  
« أبي نواس » و « أبي تمام » سداجة بالقول ، والتواء في استرسال  
الفكر ، وهرب من مواصلة التأمل والوصف ، ذلك لأن الشاعر يرى  
أن قدرة الخالق جل وعلا أمر لاشك فيه ، وأن الموقف موقف  
استمتاع بالجمال ، وقصوير له وأنه ليس موقف وعظ وخشوع ،  
ولهذا فهو يرى أن في موقف « تينسون » مثالا للشاعر الذى  
يتأمل ويفكر ويتوق إلى المعرفة .

على أن الشاعر وهو يعرض أفكاره هذه لا يرمى اللغة العربية  
بالقصور بل يرى أنها : « حافلة بالأسماء والأوصاف لشق مظاهر الطبيعة  
وآثارها ، وحالاتها ، وأوقاتها ، غنية بكل ما يحتاج إليه الأديب القدير ،  
لينقل على القرطاس أى المناظر الطبيعية شاء . » وفي هذا العرض

لمدى اتساع لغتنا العربية ، وكفائتها يبرز لنا الشاعر مدى التفاوت  
الذى بين مقدرة اللغة العربية واستعدادها ، وبين تقصير أدبائها عن  
إدراك الغاية المنشودة .

## - ٤ -

ونعلم من قراءتنا للفصل الذى كتبہ الأستاذ « محمد عبد الغنى  
حسن » فى كتابه السالف الذكر عن الشاعر « فخرى أبو السعود »  
أنهما أقاما معا فى مقاطعة من أجمل مقاطعات « إنجلترا » اسمها  
« ديفونشير » وفى مدينة من أقدم مدنها اسمها « اكستر » على ضفتى نهر  
« اكس » القصير الجميل .

ونعلم كذلك ، أن للرحلة أثراً كبيراً فى إثراء الشاعر ، ومده  
بكثير من الصور التى يحتاج إليها فى إخصاب خياله ، وأن للشعور  
بالغربة أثراً حاداً فى تعميق هذه الصور فى وجدانه ، وزيادة  
إحساسه بها .

ومن هنا نرى أن « فخرى أبو السعود » قد وفق إلى حد كبير  
فى نقل هذه المشاهد التى رآها فى الطبيعة الإنجليزية ، واستمتع بمباينتها  
للمناظر الطبيعية المصرية التى ألفها ، وترنن فى ظلالها ، وكان لهذه  
الرؤية العارضة - فى نفس الشاعر - انطباعها الذى لا يمكن أن تتركه  
المعايشة الدائمة لأممناظر الثابت ، حتى وإن كان أكثر فتنة وأغنى جمالاً .

ذلك ما نحسه ونحن نقرأ له قصيدته السحاب (١) مثلاً والى منها قوله  
فى هذا السحاب الإنجليزي :

تسمى جنود البرد تحت جناحه	والريح والإعصار حول ركابه
حيث انتحى ، أرخى مسانح وجنة	وتخلل الآفاق جسود حجابيه
وأثار فى النفس القنوط وأشفت	من ثقل خطوته ومن ألبابه



فلذا سرى بزد القلال مغالطاً أجزاءه وانسل في أعصابه  
أوهى عراه وقت في أوصاله فانصب ملء السهل في تسكابه  
في كل قاب ذاكن أو غيضة غدقت غواده وأفرغ ما به  
وبكل قاع ممرع ويفاعة توقيع وكاف التلى صباه  
وبكل منحدر تدفق مشرع ينساب في أذباده وحياه  
حتى إذا أفنى غزير شئونه همياً وأنفذ كل ما بوطابه  
ولى وغادر بعده أسلابه تزهو بقاع الأرض في اسلابه

وقد وفق الشاعر أيضاً في هذه القصيدة ، باختياره للألفاظ الوعرة  
القاسية ، التي تشبه هي الأخرى وعورة الشتاء وقسوته في تلك البلاد  
النائية ، ولقد يخيل لمن يقرأ هذه القصيدة ، من غير أن يعرف اسم  
صاحبها ، أنها لشاعر عربي زار البلاد الباردة في عصر من عصور  
العربية المتقدمة نظراً لكلماتها المعجمية وطريقة تناولها .

#### - ٥ -

ومن القصائد التي اندمج فيها الشاعر بالطبيعة حتى أصبحت العلاقة  
بينهما واضحة بما فيها من تعاطف وود لا يحتاجان إلى شرح كثير ،  
قصيدته « ثمالة كأس » (١) التي قالها قبيل عودته ، وفيها يصف بكوره  
يلتقى بالطبيعة في صحتها ويمتّع عينه بأبهج صورها ، ومنها :

. . . وكم مشرق بادرت في طلوعه ومازال المزمز في الغصن يضرب  
وقد غط أهلوها وأقبلت مثل من له عند قرص الشمس في الأفق مأرب  
ينقطني غصن بمنهل قطره ويعبق من حولي نسيم ويلعب  
حتى إذا أوشك أن يصل إلى نهاية القصيدة ، أحسست بتنبؤة  
عميقة حزينة يرسلها حرى دافئة ، فقد كاد القرائي يحمين ، وأذنت

(١) الرسالة العدد ٥٨ في ١٣ أغسطس ١٩٣٤ .

شمسه هناك بالمغيب ، ولم يبق في الكأس إلا الثمالة فلا يملك إلا أن  
يهتف فيقول :

صحابي : هاتيك الشعاب : ألفتني ويعرفن خطوى حبيبا رحت أذاب  
لقد آذنت بالبين صحبتنا سوى ثمالة كأس عن قليل مستنضب  
أباكرها صفوا ، وأعلم موقنا بأن ثمال الكأس أشهى وأطيب  
وهناك قصائد أخرى عديدة (١) يضيق بنا المقام عن سردها جميعا  
ولكننا نكتفي منها بقصيدة « الحريف » وقصيدته « أهلى الأرض  
اللتين أوردناهما كاملتين بالمختارات كدلالة واضحة على موهبه وبراعته  
في هذا المجال :

## - ٦ -

ولقد تابع الشاعر سيره في هذا الطريق بعد عودته إلى وطنه وإقامته  
بمدينة الإسكندر الأكبر وهي مدينة مشهورة بأنها « عروس الماء »  
ومعنى هذا أن مناظرها الجميلة تكاد تنحصر في وصف صلتها بالبحر  
وبمقدار ما أفادته من هذا المورد من جمال وإنه لمورد جد كريم . .

ولقد كان عمل الشاعر في الفترة الأولى من إقامته بالمدرسة العباسية  
الثلاثونية (٢) ، وكانت أياما تدفع على ربوة عالية تشرف على  
محرم بك ولا يكاد يعلو عليها بناء آخر في ذلك العهد حتى شاطئ  
البحر ، ثم انتقل في الفترة الثانية ، إلى مدرسة الرمل الثانوية وتقع  
في منطقة هادئة ذات قصور وحدائق ، وقد اتخذ لنفسه في الفترتين

---

(١) بعض هذه القصائد مترجم كقصيدته الطبيعية التي ترجمها نظاما للشاعر

« ورد زورث » .

(٢) مكانها الآن كلية العلوم - وما يذكر أن الشاعر وهو يقوم بالتدريس في هذه  
المدرسة تهتم بالرعاية والتوجيه بعض الطلاب الذين كانوا يظنون الشعر يؤخذ والذين  
أصبحوا فيما بعد من شعراء الإسكندرية المرموقين فذكر منهم الأستاذ محمد محمود زيتون  
الذي قدم لغيري أبو السعود ديوانه « جرس المدرسة » بكلمة مشجعة وكذلك الأستاذ  
أدوار حنا سعد الذي قدم له كذلك مجموعته القصصية الشعرية التي نشرها في هذه  
الفترة .

دارا أنيقة ، ذات حديقة صغيرة جميلة في حى الرمل قريبا من البحر  
الذى كان يتعشقه ، ولذلك اتخذ جارا مانوسا ، يفزع إليه إن ألم به .  
طائف من شجن ، ويناجيه بما تضيق به نفسه ، ويتعمق صوره ،  
ثم يسجلها شعرا تهفو إليه الأسماع . والقلوب .

يتأمله حاليا بالغيد من رواده فيقول :

حيث يا بحر إن الحول قد حالا فاستقبل اليوم أمرابا وأرسالا  
تسمى إليك من البلدان ظامئة إلى الحمال على شطيك قد جالا (١)  
ثم يتطرق إلى المناظر الطبيعية التى يسخر بها البحر على عشاقه  
بالإسكندرية فيقول :

ومزيد فيك أشهى للنواظر من حجاب كأس علافى الكأس جريالا  
وناعس الرمل قد مرت به حقب علاده ، وسيطوى بعد أجيالا  
وهائج اللج يغزو الشط مجتهدا لا يأتلى عنه إدبارا وإقبالا  
دوما يحاول أمرا ليس يبلغه وما يزال لمسا يبقيه محتالا  
إذا تكسر من صخر إلى حجر شهدت فى كل صوب منه شلالا (٢)

ثم يعود فيناجيه ، وهو يبحث لانهرج الغيد على رماله ، وإنما  
هو على الرغم من ذلك ترى أكبر الثراء ، بالهجة النحبية المتألقة  
فى أشعة الشمس عند شروقها ، غنى أوفر الغنى ، بالألوان الرائعة التى  
تضفيها عليه الشمس عند الغروب . . فيقول :

البحر فتان وإن هو لم ينل ريا ولم يطلع جوارى عينا  
كم طالعته الشمس ثم أجنها سرا وراء عبابه مكنونا  
لنى شهدت الشمس عند شروقها من خلف بلخته أشع جينا  
ورأيت مغربها به .. وضياؤها ملء الجوانح لهفة وحنينا

(١) قصيدة الحول قد حالا مجلة الرسالة ٢٢ يونيو ١٩٣٦ العدد ١٥٥ ص ١٠٢٤ -

(٢) قصيدة « جرة محبودة » مجلة الرسالة العدد ٨١ فى ٢١ يناير ١٩٣٥ ص ١٠٦

يهوى خضيب شعاعها من أفقها وينوب في بلج به يزهدونا  
ثم يعان عن جبرته لهذا البحر ، وعن صحبته معه ، وعن  
رضاه عن هذه الصبغة ، وتلك الجيرة ، وأنسه بها ، إذا  
ما أحس بالملل فيقول :

هاتيك آيات الجمال تخلفتها صحبي ونعم مدى الزمان خدينا  
وتخلفت هذا البحر جارا لي إذا ما غفت جارا أو مللت قرينا  
وحملت جبرته وثورة بلحه دوما تداول مسمعي رنينا  
أضفى على الشجر الجميل رواءه وكسا الحياة القاطنين فتونا

### - ٧ -

الحق أن « فخرى أبو السعود » قد أوشك أن يبلغ درجة الكمال  
في مجال الشعر الوصفي ولم يكن شعره فيه مجرد ( هواية ) يترضاها  
ويستجيب إليها ، وإنما كان ، بالنسبة إليه ، هدفا مقصودا للذاته ،  
يلب في سبيله كل طاقته ، بل إنه لا يرى نفسه أهلا للحياة إلا إذا  
أكمل رسالته الوصفية هذه .

ولنتمع إليه في هذه الأبيات من « قصيدته » الشعر (١) فهي  
فيما أحسب تحمل إلينا الدليل ، أكبر الدليل :

فلا عشت إلا ناظرا متمليا أهلب شعرا يعرض الكون حالبا  
يصور حسن الأفق بالشمس راويا ويرسم سحر البدر يغشى الدياجيا  
واقدم طود حفها الموج غاسلا وهامات «ضرب لفقها الغيم كاسيا  
ويحكى اثتلاف النور والظل والشذى ويحكى خفوق الغصن بالغيث ناديا  
ويحكى خريز النهر يجري مسلسلا وألحان طيربات في الغصن شاديا

(١) القصيدة كاملة بالملحق .

## الفصل الثالث

مخارات من شعر فخرى أبو السعود



من القصائد الوطنية التي بعث بها من إنجلترا

- ١ -

## يوم التل

كتب الأستاذ فخرى أبو السعود إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات  
صاحب مجلة الرسالة يقول :

« تحية طيبة وبعد فأني مرسل إليكم قصيدة نظمها بمناسبة ذكرى  
الاحتلال الإنجليزي ، والذي يصدر عدد الرسالة القادم ، في مثل  
ابتدائه بالقاهرة - ١٥ - سبتمبر ، وقد اعتاد الكثيرون من المصريين  
الاستحياء للذكرى يوم التل الكبير ، لأن الهزيمة أصابتنا فيه ،  
والأسف للذكرى الثورة العرابية ، لأن الاحتلال الإنجليزي أعقبتها حتى  
قال شوقي بك في بعض ما قال :

ولو أن يوم التل يوم صالح لحماسة لجعلته البادى

وقد نظمت قصيدتي قصد القضاء على توهم العار في هذه الذكريات  
ولإبراز مواضع الفخر في تلك الحوادث والوقائع . . وأقل ما في تلك  
الذكريات من مواضع الفخار ، أن الثورة كانت أول مظهر صحيح  
للقومية المصرية التي تنهت في العصر الحديث ، وأن موقعة التل كانت  
أول معركة قام فيها جيش مصرى صميم بالدفاع عن أرض مصر ،  
وأن المصريين فيها كانوا ينازلون أكبر قوة استعمارية عرفها التاريخ  
وأن الإنجليز لم يطمثوا إلى منازل المصريين ، ولم يحرزوا عليهم النصر  
إلا بعد أن استعانوا بكل حيلة . . . »

هنا وقد نشرت الرسالة القصيدة في العدد السابع عشر الصادر  
يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣٣ صفحة ٢٨ .

أعد ذكر ماضى النيل للجيل منشدا  
وكم مفخر للنيل باقى مغلدا  
نتيه بماضينا القديم . تفاخرا  
ولم أر يوم التل عارا وصبة  
أنجبل أن قمنا نلود عن الحمى  
تدفق من عبر المحيط مهددا  
وقالوا شياة السيف دون عدونا  
إياه تليد المجد قر له رضى  
وما شهدوا من قبلها بعد عهدهم  
فلما رأى العادى سنوح فريسة  
ترامت على الثغر الأمين رجومه  
أثار عليهم مائج البحر مرغيا  
تهوى له الأقاوض أيان يرتعى  
تمازج لون النار والدم عندها  
ولم يألها حتى كساها غلاثلا  
ولم يشه فى الشرق والغرب ضجة  
مقئ نالها : فلتنب الأرض حسرة  
رأت أمم فى الشرق والغرب أمة  
تعاقب أن قامت تحطم قيدها  
وتوأت حرياتا وحقوقها  
ولم أحال الثغر ججرا مخربا  
فأبصر من دون السيل بواسلا  
تصدى لإلهم كرة بعد كرة

فما أعقب المجد الأثيل مرددا  
إذا ذكر الأقوام فخرا مغلدا  
وأجرى بأن يروى الحديث فيحمدا  
ولم أره إلا أعز ممجدا  
ويسحب أذبال الفخار من اعتدى  
فما حفات آباؤنا من تهددا  
وإن يك عرض البر والبحر أبدا  
وقر له عظم الفراعين ملجدا  
بى مصر جمعاً ينهلون إلى العدى  
أقام زمانا دونها مترصدا  
تناصب عزلا فى المدينة قعدا  
وصب عليهم مارج النار مرعدا  
وتتثر الأشلاء فى حيث سددا  
وفار لهيب النار بالدم مزبدا  
من النار حمرا فى السموات مصعدا  
لأمر أقام الأرض هولا وأقعدا  
على العدل ، ولتبك السماء تلندا  
يجار عليها جهرة وتمعدا  
وتبحث تاريخا قديما وسؤدا  
ليحكم الاستعمار فيها معربدا  
تقدم يبغي مسترادا ومهتدى  
جثيا على هام المسالك رقدا  
فأصلوه ليرانا فأب مبددا



فيا من رأى أبناء مصر إذا انبروا  
 على حين ماجت خيله وسفينه  
 يساقونه كأمن الحمام وأهله  
 فلما رأى وعمر الطريق ولم يجد  
 تسلل من شرق البلاد محاذرا  
 ومال إلى الأعراب واختل طبعهم  
 جرى تيره فيهم وسالت سفينه  
 وساق على الأحرار بالثل سفلة  
 خميس يسير العار في خطواته  
 كفته خيانات اللثام عدوه  
 ولولا جنود الأثم ترفع دونه  
 كذلك كانت في السياسة حاله  
 وما نال إلا بالجريرة مقنا  
 وأقبل يزهو بانتصار وانه  
 خصيمك اسنى في الهزيمة صفحة  
 وزاد عروس الشرق في تاج ملكه  
 رويدك لا تحمد مقامك بيننا  
 كما جثت في داج من النحس قائم  
 وأنحى على الأحرار يسكب مقته  
 ومن أحرق العذراء يوما تشفيا

إلى غول الاستعمار صفا مجردا  
 ولم يبصروا في الشرق والغرب مسعدا  
 بمصر كرام في مراح ومغتدى  
 كما ظن نهجا حيث سار مبعدا  
 هزيمته في الغرب أن تتجددا (١)  
 يريد لدى القوم اللصوص مؤيدا  
 تمزق عهدا للقناة مؤكدا  
 أتى بهم من كل فج وأعبدوا  
 وتبعه الأوباء في حيثما اهتدى (٢)  
 وما بث من جند الفساد وأرصدا  
 لما مد رجلا للقتال ولا يدا  
 وفي الحرب لم يبلغ به النيل مقصدا  
 ولا سل إلا في الظلام مهندا  
 لحزى له يبق على الدهر سرمدنا  
 وأكرم في ظلم الحوادث محندا  
 يقيه بها فخرا ويخطر سبيدا  
 ولا تحسبه ما أقمت ممهدنا  
 سترجع في داج يفشيك أسودا  
 وقد كاد يسقيهم بجهلته الردى  
 فليس بمستن مسنا وأمردا (٣)

(١) هزم الانجليز سنة ١٨٠٧ من الغرب أى معركة رشيد ولهذا اراد ان يأتى هذه المرة من الشرق حتى يتفادى الهزيمة السابقة ؟

(٢) الخيمس الجيش وقد أسيبت مصر بالكوليرا عقب دخول الجيش الانجليزى .

(٣) يريد بالصفراء جان دارك التى احرقها الانجليز .

فأرهمي بعضاً في السجنون مكبلاً  
 سبيلهم ووربحان أبوتنا على  
 سلام على من قلبه تصلوا بنارها  
 سلام على من مات في حومة الوغى  
 سلام على قبل (١) تولى زمامها  
 أصحاب بها نجما فلما كبا بها  
 وزيد عن الأوطان عشرين حجة  
 جريزته أن رام مصر عزيزة  
 ورام لها من طغمة الترك محتقا  
 لنجيا كما نجى الشعوب طليقة  
 ستذكره مصر الفتية ما ابتغت  
 عسى ذكرنا رغم الهزيمة أحلدا

وفرق بعضاً في البلاد مشرداً  
 ثراكم سسلا لا يزال مجددا  
 وخاضوا لظاهها فائرا متوقدا  
 ومن مات في قاص من الأرض مبعدا  
 أعف الوري قصدا وأتقاهم يدا  
 وأدركه منها العثار تجلدا  
 يبيت على شوق إليها مسهدا  
 وشاء لها أن تستقل وتسعدا  
 وبعدا لعهد الترك أشأم أنكدا  
 بعصر يعاف العبد فيه التقيدا  
 لدى الحق عهدا أو لدى المجد موعدا  
 سيعث فينا للغميمة .. أحلدا (٢)

(١) قيل مفرد أقبال - السيد القائد المطاع في قومه ويقصد به أحمد عرابي .  
 (٢) أحمد الأول = أحمد عرابي وأحمد الثاني = الزعيم المنتظر وقد تمثل في جمال  
 عيد الناصر .

## بنى مصر

قصيدة وطنية نظمها وهو مقيم بانجلترا وبعث بها  
إلى مجلة الرسالة فنشرتها في العدد ٢٨ الصادر  
في ١٥ يناير سنة ١٩٣٤ صفحة ١٠٤ .

ولام تغيب الشمس عنا وتطلع	ونلعب في ظل الحياة ونرتع
رضينا بخفض العيش والذل حوله	وما الذل إلا حظ من بات يقنع
نهم بهزال لانهم بغيره	ونهرب من جد الحياة ونفرع
ونحجم عن أخطارها وصعابها	وتتينا لذاتها والتمتع
نسير على رسل والمعصر حولنا	مواكب في طريق العلا تتدفع
أساغ بنو الشرق الحياة ذليلة	وعيش بنى الغرب العلا والترفع
هم قادة الدنيا ونحن وراعم	فضول وأذبال تبحر وتتبع
ندل ونستعمل بمخترعاتهم	ولا كاشف منا ولا ثم مبدع
ونرغل في أعطافها من حضارة	وما نحن نبيها ولا نحن نصنع
وكم نائه منا بثوب منمق	وأحرى به منه الأديم المرقع
لم حاضر عال وماض مؤثّل	وسعى إلى مستقبل المجد أروع
إذا ذكروا أوطانهم فخروا بها	ويا حبنا فخرا ذمار ممنع
يطولون بالجاه العزيز تفاخرا	ونطرق من ذل الأسار ونخضع
ونشحد من آياتنا وجدودنا	فخارا على أعقابهم ليس بخلع
هم دوننا أهل الفخار ولم يكن	علوآب في حطة الولد يشفع
تليسه بتاريخ لم وآثر	قيام على الأيام لا تتزعزع

وما هي ما لم نحى إلا صحائف  
وفيم تباهينا بعز ورفعة  
تبرأ ماضى المجد منه ولو درى  
وريع الفراعين العظام وأجفلوا  
رأوا أمة تمشى وراء زمانها  
وتقنع من حظ الحياة بلونها  
وأوغل فيها الأجنى نبوه  
وعالم خيل بمصر ، وراية  
كأنى أصغى من علام إلى صدى  
يقول : بنى مصر الحياة أو الردى  
ولست حياة الشعب لإسيادة  
وليس الردى إلا حياة مهينة  
أبرضخ شعب النيل لاغير راضيا  
هلموا إلى جد الحياة ونفضوا  
فما الأمر لو تدرون إلا عزيمة  
تعاف ذلول العيش قد لان ملمسا  
وأنى سلكنم فاجعلوا مصر قبلة  
شركتكم فى شركم وجهاركم  
وولوا على الأعمال لا القول همكم  
وإن فاتكم منها الجنة فى غد

بوال وأطلال خوال وأربع  
وحاضرنا قهر من العز بلقع  
لطاشره «خوف» وأذهل «خفر»  
وعالم هذا التراث المضيع  
وقد عرفوها فى الطليعة تطلع  
وقد تركوها فى الذرا تربع  
وقد عهدوها النجم أو هى أمنع  
على راية النيل المفداة ترفع  
يشق القرون الداجيات فيسمع  
ومالككم من دون هذين مشرع  
ترد طماع الطامعين وتردع  
يقربها الشعب الدليل المضعضع  
بما بات يأباه من الزنج أوكع  
بقية هذا النوم فالعمر مسرع  
تصارع شداى الحياة فتصرع  
وتضرب فى وعر الحياة وتقرع  
وحول علاما الملتقى والتجمع  
وحين تغيب الشمس عنكم وتطلع  
فما القول بالمجدى ولا لعم يتفع  
متزهر للجبل الحديد وتوشع

## حصن طارق

نشرها بالرسالة : العدد ٦٧ في ١٥ أكتوبر ١٩٣٤ ص ١٧٠٨  
نظمها عند مشاهدته للجبيل في طريق عودته الى الوطن

أقام على شط الجزيرة مفردا	ورانت عليه وحشة وسكون
على الصخرة الصماء يصخب دونه	من اليم لج زاهر ومتون
مغب بجيش الشرق والغرب حوله	صموت على كر العصور ميين
به صدقة عما يرى في زمانه	وفيه إلى ماض الزمان حنين
تغيرت الدنيا وباد قبيله	وغيره دهر مضى وقرون
وقطب لما أنكر العصر حوله	وسارت بما لا يشتهيه شتون
وأنكر خيلا حوله وأعاجما	تقر لهم تلك الربا وتدين
تعطل من بعد اعتصام ومنعة	أسير بأيدي الغالبيين رهين
وكان يصون القوم فارتد أعزلا	وأصبح حتى النفس ليس يصون
إذا لم تكن همت قوم حصونهم	تداعت روامي دونهم وحصون

\* \* \*

حوت من تلاد المجد صخرة طارق	على الدهر مالا يحتويه رقين
تعالت بها الله أكبر مرة	فمادت سهول دونها وحزون
وسالت شعاب بالصوارم والقنا	وأحرق خلف الفاتحين سفين
وقامت بأطراف الجزيرة دولة	وأزهر عرفان وأشرق دين
جلا أمس عنها آلهما وينوهم	على الصفة الأخرى الغداة قطين

فمن لى بمن ينهى الجلود بأننا      وقد عز عبدان الجلود ، نهون  
وأنا إذا أعتمنا رسوم علائهم      تناهيت القلب الحسير شجون

\* \* \*

خشعت وعادتنى لدى حصن طارق      همومى وابتلت لديه جفون  
لشعب يسبق الذل من بعد ما سما      له فى الورى ملك أشم مكين

من وصف الطبيعة في انجلترا

- ٤ -

## في الخريف

احدى قصائده في وصف الطبيعة الانجليزية نظمها وبعث  
بها الى مجلة الرسالة وهو مقيم باكستر - انجلترا ونشرتها  
الرسالة في العدد ١٨ الصادر في اول اكتوبر سنة ١٩٢٣

كل شيء في الكون ران وقرأ	وسرى في جوانح النفس سحرا
أسفر الجوّ وانجلى صفحة الأفق	وفاحت مناكب الأرض بشرا
في ربوع يطول عمر شتائها	إذ يوافي ويقصر الزهر عمرا
نحمد الشمس يوم تطلع فيها	بضياء ونحمد الله عشرا
رف فيها الخريف حسنا وطيبا	فتسامى على الربيع وأزرى
تفضت يومها الحياة وقامت	بعد طول الحجاب ترفع سترا
أبرزت من جمالها وحلاها	كل سرر فما تكتم سرا
ذهبت تنثر الجمال فلم تستثن	في المساء أو على الأرض شبرا
نثرته بلا نظام فأرضى الفن	فوضى وأعجب العين نسرا
أودعت سحرها هواء وحصباء	وماء يسرى وعشبا وصخرا
يسرح الطرف حيث شاء فما	يسرح إلا من فتنة صوب أخرى
مزج حسن ورقة وبهاء	ألفته لونا وضوفا وعطرا
هو في العين ما أرق وأنداء	وفي الصلر ما ألد وأطرى
ترتوى الروح منه نهلا وعلا	فهى تشوى إذا تنقل ، سكرى
كست الأرض خضرة وتغشت	ريوة ريوة وغسورا فغورا

فزكا الثبت في قلاع وقيعان  
راق منها ما قد تهادى على  
وذكاء وسط الفضاء تواری  
ثم تبلو فتغمر الكون إيناسا  
في سماء نقية تأخذ العين  
معرض النور سرت فيه الموقى  
تعمل بدائع السكون أو تنظم  
عند نهر عذب التسلسل ما  
حفه العشب كاسيا ضفته  
أرسل العين تجلى الحسن صفوا  
فهى في مسرح الطبيعة جلى  
ورفيقى في السير سفر بكفى  
من تهادى سفر الطبيعة مبسوطا

توالى في الأفق طيبا ونشرا  
الأرض ندیا وما تشامخ كبرا  
خطف غم يمر في الجو مرا  
إذا الغيم من سناها تفرى  
اغترقا وتغم العين بشرا  
مطلقا في انليال نفسى حبرى  
في صفحة الخواطر شعرا  
تابعته بالمسير إلا استبطرا  
مطلعا حوله قتادا وزهرا  
أو تقصى من سالف العمر ذكرا  
آنة أو مع التذكر عبرى  
لم أطلع مما يحدث سبطرا  
إليه فكيف يحفل سفرا ؟



## أهله الأرض

قالها وهو في انجلترا يصف بواد الربيع ونشرت بالرسالة  
بالمجلد ٥٩ صفحة ١٣٨٤ في ٢٠ أغسطس ١٩٣٤

من غازل الروض حتى افتر جذلاتنا  
ونصر الزرع فاخضرت لفائفه  
وأخرج الزهر من أقصى منابته  
وصاح بالريح حتى قر ثائرها  
وكفكف الغيث فانجابت عوارضه  
وقشع السحب عن أفق السما فبدا  
ورد غائل برد كاد يهلكنا  
أهله الأرض مازالت كما عهدت  
قد ظل ملتحفاً بالدجن محتجباً  
حتى انجلي فبدا من طول لهفتنا  
والطبيعة حسن حينما سفرت  
ليست أقل بأرض الثلج فتته  
وددت لما تمشى في الجزيرة لو  
على أعب ملياً من مناهله  
لرعتها من جنوب الأرض مبتغياً  
والشمس ترمي شواظاً من أشعتها

وكان متقبضاً بالأمس غضباناً  
وانبث في الأرض أكاما وودياناً  
فرصع العشب أشكالا وألواناً  
إلا نسيما يعرف الزهر ملآننا  
وكان لا يأتلي مطلقاً وتنتاناً  
طلقاً وأطلع وجه الشمس ضحياناً  
عات ، وأرسل دفئا منه أحياناً  
أم بدلتها جنود من سلجانا ؟  
حسن الطبيعة طول العام وسنانا  
إليه آخذ بالألباب عرياناً  
في الشرق والغرب ساب أينما بانا  
منها بواد يغذى النخل والبانا  
يتاح لي في حماها الخلد أزمانا  
ويقتنى القلب من رياه ريانا  
شمالاً ، ممعناً في السير إمعاناً  
آنا ويفستر عني وقسدها آنا

مقلقل الشخص تعلو بي غواربها	حيناً وتهبط بي الأغوار أحياناً
تيلو على الأفق الآطام مائلة	خلف المزارع أشراباً وأحدانا
وقد علت بينها الأبراج راسية	طوت بموضعها دهرأً وحدثانا
إذا هبطت قراها أو مدائفها	رأيت خيراً وإثراءً وعمرانا
ماجت بمن ركبوا فيها ومن درجوا	كأنفل نعيم ألواذا وكتبانا
وإن أويت لأحضان الطبيعة لم	ألاق أحق على الأبناء أحضانا
أهدت إلى وفودا من نسايمها	تري ، وظلا من الأغصان فينانا

## موقف من عطيل

( نظمت في انجلترا )

عطيل ذلك القائد المغربي الأسود الذى استبد به الشك فى  
زوجته ديمونه وقد ساءلت فى تنمية هذا الشك الدسائس  
التي قام بها « باجو » حتى انتهى الصراع بان قتل عطيل  
ديمونه ؛ والقصة مسرحية من روائع شكسبير شاعر الانجليز  
الاكبر وقد تناول فخرى أبو السعود شريحة نفسية من عطيل  
بالتحليل الشعرى فكانت هذه القصيدة وهى هنا على لسان  
عطيل

قليل رقاد الليل نابى المضاجع	أبيت على مض من الشك لا ذع
ألا ليتنى لم أدر أنباء بغيبها	ومنظر شيات برأى طوالع
وما سرها أنى بلونى معلم	لدى الحرب بطاش بكل مقارع
ولا أوبى بالغار فى كل موكب	ولا خطر فى بين السيوف السواطع
فلم يشها عهد . . وجن جنونها	بغض الصبا من قومها الصفر بافع
سباها بطبع منه هين ، ومنظر	طير ، وخلاّب من القول رائع
ولم يبق لى فى قلبها اليوم موضع	وما كان فيه أمس إلا مواضعى
نعم هى تلقانى بنظرة مغرم	وبسمة مفتون وعطفة خاشع
نعم وهى تسقينى خدوع رضابها	كما مجت الأفعى الخوون بناقع
وتوشك - لولا الرشاش أن تستخفى	ويستل حقدى سحرها من أضاالى
ويوشك ذاك الحسن أن يستهزئى	فأنسى لديها كيدها وهو فاجعى
أنيسم لى غشا ! وعحض ودادها	لدى قاهرى فى حبها ومنازعى ١٩

لعمري ماذا يدعواني إذا خلت  
أندعينني فدما ؟ ، أنفضين للفني  
أيضحك من جهلي ؟ أيزعم أنني  
حنانيكما قد جرتما وغلوتما  
سيأتيكما أمرى فيدري كلاكما  
سأفقع ممن خانت العهد غلتي  
سأمنحها كأس المنية موقنا  
سأسلمها للموت أول نادم  
سأقتل من لو أستطيع فديتها

إليه بمنأى عن رقيب وسامع  
بشجوى ولأوائى وجم مواجى  
بليد غليظ الحس غير مدافع  
ورققا بهذا المستغر المخادع  
بأن حمى الوحشى ليس بضائع  
وهيات ما غير الحمام بناقع  
بأنى لتلك الكأس أول جارح  
لتلك الحلى تقضى وتلك البدائع  
بيت نياطى أوبقطع الأخادع (١)

---

(١) العدد ٥٩ من الرسالة السنة الثانية الصادر في ١٩٣٤/٦/٢٥ صفحة ١٠٦٦ .

## الجندي القديم

ووصف بها جنديا بريطانيا يعيش على ما فيه العسكري كان  
قد التقى به في إحدى الحفائق العامة ؛ وقد نشرها  
بالرسالة بالعدد ٢٧ في ١٩ مارس سنة ١٩٣٤

لقد كان يوما شديد الأياد	رشيق القوام نضير الصبا
يقضى مع الصاحب ساع السرور	وينب والغيد صفو الهوى
وتحلو أحاديثه للرفاق	إذا جمعهم كنوس الطلى
فنبهه ذات يوم نداء	إلى الحرب يدعو، فلبى النداء
ليحمى أوطانه في الحماة	ويلرأ كيد علو طغى
ويقتحم الموت من أجلها	وبلى الحديد ويصلى اللظى
ويأخذ بين الصفوف مكان	الألى طحتهم تروس الرحي
فقامى أذاها وأموالها	ودافع ماشاء أو لم يشا
وصادف في كل يوم حماما	وذاق من الخوف ألقى ردى
فإذا كادت الحرب أن تنجلي	ويطرح الجندي ذاك الصنا
وأن له أن يعود قريبا	لأوطانه بعد طول النوى
أتبع له قاذف فرماه	بمارج نار إليه هوى
فطساح بساق له بعدما	ترامى قريبا بعيد المي
وأى فؤاد وهى فائتار	به الحمرات طوال المدى
ولم يدر ثمت من ذا رماه	ولم يدر واثره من رمى
وما اجتمعا قبلها في مكان	ولا التقيا بعد ذاك اللقا

ولكنها عن ثم تهوى  
وآب بساق إلى قومه  
فقلده الحاكمون وساما  
وقالوا افتدى وطننا غالبا  
وأجروا عليه الكفاف جزاء  
وعاد إلى داره مفردا  
بجانب موقده يصطلى  
ذوى عوده وانحنى رأسه  
وحيدا فبالصحب عنه اشتغال  
يلخن مسترسلا في الخيال  
ويذكر وسط دخان الطباقي  
وكيف ألت به الغاشيات  
وكم كر بين صفوف العدو  
ويروى وقائعه الرائعات  
ويسردهن عليه مراراً  
ويسردهن على نفسه  
فإن راح يبغي الرياضة يوماً  
فصاحبه كلبه في المسير

على خانضها هوى القضا  
وقد غيت أختها في الثرى  
وأثنوا عليه جزيل الثنا  
بعضو ثمين فنعم القدا  
على ماسعى وعلى ماجنى  
يقضى الحياة إلى المنهى  
بياض النهار وشرط الدجى  
وجلس فوديه شب بدا  
بروم الصفاء ونشد الغنى  
ومستغرقاً في قديم الرؤى  
دخان الحروب ونار الوغى  
فخاض دجاها وكان الفتى  
فأوقع في القوم ثم اثنى  
لأى أصاب وأى رأى  
وهبات يسأم مما روى  
إذا هو لم يلقى سمعاً وعى  
ويبعث بالسير ميت القوى  
وعكازاته بحيث مضى

## السجينة

قصيدة نشرت بالرسالة بالعدد رقم ١٢٢  
الصادر في ٩ ديسمبر ١٩٣٥ ص ١٩٨٨

لَكَ اللهُ كَمْ ذَا تَطْمَحِينِ وَأَعْزَفْ	وَأَنْثِيكَ عَمَّا تَبْتَغِينِ وَأَصْدَفْ
وَيَانْفَسْ كَمْ أَزُورُ عَمَّا أَشْتَبِيهِ	وَأَعْنَى بِمَا لَا تَشْتَبِينِ وَأَكْلَفْ
وَأُحْجِمُ عَمَّا رَمَتْنِي فِيهِ مَقْدَمًا	وَأُقَدِّمُ فِيمَا تَكْرَهِينِ وَأَسْرِفْ
وَأُبْدِي سِوَى مَا تَضْمُرِينَ مَكْتَمًا	جَوَى لَكَ فِي الْجَنِينِ لَا يَتَكْشَفْ
تَجْنِينِ نِيَامًا وَوَجْدًا وَلَهْفَةً	وَأُظْهِرُ أَنَّى الزَّاهِدُ الْمُتَعَفِّفْ
وَتَخْفِينِ إِشْغَاقًا وَأُبْدِي جِلَادَةً	وَأَغْلُظُ يَانْفَسِي عَلَيْكَ وَأَعْنِفْ
كَأَنَّكَ فِي الْجَنِينِ مَنَى سَجِينَةً	تَعْلَبُ فِي ظِلْمَاتِهَا وَتَحْفِيفْ
وَتَكْجِحُ عَمَّا تَبْتَغِيهِ وَتَشْتَبِي	وَتَقْمَعُ أَشْوَاقَ لَهَا وَتَشُوفْ
ظَلَمْتَكِ لَمْ أَظْلِمُ سِوَاكَ مِنَ الْوَرَى	وَمَا مِنْ خِلَالِي قِسْوَةٌ وَتَعَجَّرْ
ظَلَمْتَكِ: لَا يَانْفَسُ: بَلْ تَظْلِمْنِي	وَأَصْفَحْ عَمَّا تَسْلُقِينَ وَأَصْدَفْ
أَمَّا كُلُّ يَوْمٍ مَذْهَبُكَ شَائِنٌ	أَمَّا كُلُّ حِينٍ مَا رَبُّكَ مَلْجَفْ
أَمَّا كُلُّ آنٍ غَايَةٌ لِئَرْ غَايَةٌ	أَكْلَفْ فِي إِدْرَاكِهَا مَا أَكْلَفْ
وَسَيَانُ مُحَمَّدٍ الْعَوَاقِبُ نَافِعٌ	لَدَيْكَ وَمَلْعُومُ الْمَغْبَةِ مُتْلَفْ
وَهَلْ أَنَا مُسْتَطِيعُ رِضَاكَ لَوْ أَنَّنِي	عَلَى الْعَالَمِينَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفْ
وَلَوْ أَنَّنِي عَمْرِي أَجَارِيكَ لَمْ أَعِشْ	عَنِ التَّهَجُّ إِلَّا حَائِدًا أُنْعَفْ
كَلَّا نَا أَيَا نَفْسِي بِلَاءٌ تَلْدُنِي	نَعْمُ وَكَلَّا نَا نَاقِمٌ وَمُعْنَفْ
نَعِيشُ كَأَنَّا اثْنَانِ لَمْ يَتَعَارَفَا	وَمَا لِهَمَّا فِي الدَّهْرِ شَمْلٌ يُوَافِ
ظَلَمْتَكِ خَدْنًا صَاحِبًا وَظَلَمْتَنِي	فَعَلْ فَرَاقًا آتِيًا هُوَ أَنْصَفْ

## سل الجديدين

نشرت بالرسالة عدد ٩٩ صفحة ٨٦٩ في ٢٧ مايو سنة ١٩٣٥ .

هلى الحياة التى راقت مجالها      يحصى حصاها ولا تحصى مآسها  
ما كنت تلهو بما أبدت ظواهرها      لو كنت تنظر ماتحى خوافها  
تظل تعرض .. ألوانا .. مفاتها      وللشور جبال فى فواحها  
تجاوز الحسن فيها والأسمى ، ومشت      ما بين أفراسها الكبرى مناعها  
يشقى ويفنى بنوها وهى لاهية      بدلها وحلاها عن ذرارها

• • •

تروك الغابة الفيحاء ناضرة      يرف بالحسن عاليا ودانها  
ويانع الزهر فى أفنانها عبق      وريق الماء يجرى فى مسارها  
ويستيك برود من نسائمها      هين ، وظل ظليل من حواشها  
وبين أطوائها حرب مخلدة      تعج ما بين ماضيها وآتيها  
فى عشها ، أو ثراها ، أولفائفها      يكن رانحها شراً لغادها  
وما اغتلى حبها إلا بها لكها      ولا سما نصرها إلا بذاويها  
تغلغل الظلم فى أحنائها ، وعدا      على الضعيف من الأحياء عادها  
فى كل طرفة عين ثم مهلكة      أو ثم معركة ياويل صالها  
تشقى وتالم آلاف مؤلفة      فى كل آن وتردى فى دياجها

• • •

وتعشق البحر فى رجب وفى عظم      والبحر مطرد الأمواج طامها  
تلاعب الريح أحيانا غواربه      وساكب الزور أحيانا يناغها



يصفوا الأصيل عليها والفضحى : ولها  
وتحت أثابجها حرب مؤرثة  
وكم مآسى فى قيساتها درجت  
وكم فجاج غابت فى غواشها  
تردد وخير فى شواطئها  
موصولة ليس يخو الدهر واريها

• • •

سل الحديدين كم كرا على مهج  
لو أطلق المرء العين العنان على  
ولو رثى لضحاياها العداد لما  
ولو تدبرت النفس الحياة لما  
نشيجها عن مآسها ونصرفها  
لما تحب وترضى من ملاسها  
مروعة عز فى اللأواء آسها  
تلك المآسى لما جفت مآقها  
حلاله الشعر إلا فى مراثيها  
صحت من الهم لكننا غاريها

## سأجيء هذى الدار

وقد نشرتها الرسالة فى عددها رقم ١٥١  
الصادر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ ص ٨٦

البلر فض غياهب الديبور  
أضفى على وادى المنية روعة  
فازدادت الأجداث فيه مهابة  
قرت : وقرت سامقات حولها  
فكأنها فى صيتها ومثلها  
وأوى الظلام إلى خرائب منزل  
مقوم من الأحياء ولموتى فلا  
وأنت متند الخطى . : متأنيا  
أجتاز فى وادى المنون مطهرا  
متذكرا فيه وكم من عبرة  
حيث الصعيد جماجم ومعاصم  
حيث انطوت سير خوال وانتهت  
وخبت معارك لم يكفكفها سوى  
وخبا ضرام محبة وعداوة  
استخير الأجداث عما استودعت  
ماذا صنعن بفاتن ومنعم

وأذاب لجة بحره المسجور  
من صوب ضوء سال كالبللور  
لما انجلت فى نوره المتثور  
عطلن من نسم وسجع طيور  
أشباح واد تازح مسحور  
خلف القبور مهدم مهجور  
هو فى القبور يرى ولا فى الدور  
أنسل بين حفائر وقبور  
للنفس فيه أيماء تطهير  
لمن ابتغى فيه ومن تذكير  
وحياة صباب وأعين حور  
أشغال أجيال وحرب عصور  
حملات جيش للحمام مغير  
وموم أفئدة وداء صلور  
من كل منحوب بها منخور  
وجليل شيب جاءها وصغير

كم غيبت من كان مطمح مهجة      ومناط آمال وعقيد أمور  
طوت الأليف فإذا بكاه إلفه      ثنت برب اللدمع المشهور

\* \* \*

سأجىء هذه الدار يوما لاحقاً      من غادروا بالقلب برح سعي  
ومخلفاً بعدى حزناً موجعا      ييكنى بدمع للفراق غزير  
ييكنى وما عبراته في أوبى      بالشافعات ولا الردى بعذير  
وتقر في تلك الغيبة أعظمى      من بعد كد دائب مكرور  
يسلو بها قاي قديم ، آربي      كانت ويترع عن أمى وحبور  
غفلان عن سال لذكرى جامد      أو جائد يفؤاده للفطور  
ويطل ذاك البدر فوق زاهيا      يحلو سناه غياهب الديجور

## الموت

نشرت بمجلة الرسالة في عددها رقم ١٢٢ الصادر  
في ٤ نوفمبر ١٩٣٥ ص ١٧٨٨

أيا قادماً تخشى النفوس قلوبه  
قلوبك تحرير الأسارى ولودرت  
كما ينكر الطفل الطبيب وعنده  
بلوت نفوس الخلق من عهد آدم  
إذا قست الدنيا على متعب بها  
ومن شفه قيط الحياة أغثته  
فأنت لنضو العيش من دون صحبة  
وأنت دواء الجسم قد خيل داه  
وأنت بلاغ النفس حيرى مروعة  
وفيك ابتعاد عن جهالة جاهل  
وعندك نسيان وطول زهادة  
فأنت - وإن غلت المنى - أطيب المنى  
لمسرك ما حى بأروح متزلا  
ولو علم الخلق لما جاد عامدا  
وتمحويداك الحقد والخوف والأسى  
وأنت تريح الفكر من كل مضل  
وتطوى عن الأجفان صفحة علم  
وتطوى كتاب الأمس طيا وما مضى  
عزاء لبعض الناس أنك قادم

لأنت صديق في ثياب غريم  
لما أنكرت لك النفس يوم قدوم  
له برء أسقام ودخل كلوم  
فأنت بها يا موت جد عليم  
بسطت له لأيا جناح رحيم  
ببرد نسيم في الأصيل رحيم  
ومن دون قرباه أبر حميم  
تميط الأذى عن موجد وسقيم  
بوادى شكوك جمّة ومهوم  
وعن قول مأفون وفعل لئيم  
لكل مراد في الحياة عقيم  
وفيك نعيم المسرة أى نعيم  
على الأرض من بال بها وريم  
على خصمه بالموت جود كريم  
وكل بلاء في النفوس قديم  
يظل له في حيرة ووجوم  
ملئ بأنواع الشرور ذميم  
به من بغيض ذكره وأليم  
وأن شقاء العيش غير مقيم

## الشعر

نشرت بمجلة الرسالة العدد ٢٢٢  
في ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ص ١٦٧

ألا يا صدى للنفس قد بات حاكبا	تترجم عنها شجوها والأمانيا
تبوح بذكراها وتحكى شعورها	وتروى رؤاها صادقا والمعانيا
ونكشف من أسرارها كل مبهم	خبيرا بأغوار السريرة داريا
لأنت نديم النفس في صبواتها	وإن عن خطب كنت أنت المؤاسيا
لما منك في الأشجان يا شعر مقزع	تدافع عنها اليأس بالبشر ماحيا
وأنت قرين البأس والمجد والعلا	وكم تلهم العليا وتوحى التساميا
وما أنت ألفاظ تصاغ لياقة	ولكن شعور النفس قد فاض طاميا
معين بنفس المرء يجرى تفرقا	إذا حسبه غيظ جرجر داويا
أهاب به من حادث الدهر نازل	فأقبل دفاقا يلجى المناديا
وما كنت يوما ناظم الشعر إنما	غدت له في صفحة الكون ناليا
أقلب من ديوان ذا الكون صفحة	تلى صفحة أتلوه للناس راويا
صحائف ما تبلى على الأرض جدة	وكم بات نالوها عظاما وبواليا
صحائف حسن قد عبت صفاته	وصورت منه في التصيد مجاليا
وأودعته آمال أمس وهمه	وأيام حسن قد مضت ولياليا
إذا رحت أتلو ما خططت رأيته	كأنى أحيسا ذلك العهد ثانيا
وما العيش إلا أن ترى فتنة الورى	وتودعها من بعد ذلك القوافيا

فلا عشت إلا ناظرا متمليا  
يصور حسن الأفق بالشمس راويا  
وأقدام طود حفها الموج غاسلا  
ويحكى اثلاف النور والظل والشذى  
ويحكى تحرير النهر يجرى مسلسلا  
أمير الفنون : الشعر ، جمع شملها  
وفيه مجال للخيال وملعب  
ويعضى مع الأحلام في كل منعب  
ويخلق منها عالما بعد عالم  
ويدفعه حب البعد فينتفى  
ويعن في ماضى الزمان مجولا  
ويجمع أطراف الحياة وتلتنى

أهذب شعرا يعرض الكون حاليا  
ويرسم سحر البدر يغشى الدياجيا  
وهامات هضب لفقها الغيم كاميا  
ويحكى خفوق الغصن بالقيث ناديا  
والحان طير بات في الفصن شاديا  
وأنزاع منهن النفوس الصواديا  
به الفكر يدنى كل ما كان نائيا  
وترمى به شتى الطيوف المراميا  
مليتا بأسباب الممرات حاليا  
مع الريح يعضى أولى النجم راقيا  
ويسير عجوباً من الغيب آتيا  
على ورده الأجيال شتى تواليا

## الفتى المقرئ

ونشرت بالمعد ٧١ من الثقافة في  
٧ مايو سنة ١٩٤٠ صفحة ٢٥

لقد جارت لياليه عليه ولم تلهب سنى الآمال؛ يمسى  
يهش إلى الحياة رضى كأن لم  
إذا ما خف بشراً واغتياباً  
حسبت شوارد الآمال دانت  
لقد قست الظروف عليه ظلماً  
وألفت روحه رهناً بسجن  
تعانى ظلمة وتطل شوقاً  
ففى حلقومه نأى رخيماً  
إذا ما رجع الأنفاس فيه  
- بما يك صوته صعداً وألقى  
إذا زادوه ملحاً زاد زهواً  
ومال ترنحاً يبنى ويسرى  
يرتل من كتاب الله ذكرراً  
وعى آى الكتاب فليس تخفى  
حوى الفرقان ميراً نفيساً  
يرتل احتساباً واكتساباً  
ويؤمن بالذى يتلوه حقاً  
ويؤمن أنه سيفوز يوماً

فأذهبت السنى من مقلتيه  
يضوء شعاعها فى جانحيه  
تعبس وجهها فى ناظريه  
حسبت الكون طراً فى يديه  
له وغلت أوابلها لديه  
وحرمت المحاسن باصريه  
تعانى وحشة فى جانبيه  
على هذا الورى من محجريه  
تخف النفس من طرب إليه  
وقد دارت يداه بعارضيه  
إليه الحفل طراً مسمعه  
وهز من التخاليل منكيه  
وصمر فى التنم أخدعيه  
وعاه منذ شب بأصغريه  
عليه آية فى دفتيه  
تلقف كثره عن والديه  
ونعمت صنعة فى راحتيه  
وإن خفيت معانيه عليه  
بنعمة ربه فى جنتيه

## السفينة

( صورة من الميث )

نشرت بالمعد ٣١ من الثقافة اول اغسطس ١٩٣٩ صفحة ٣٩ .

أثوها خفافا فاستقبلت بهم مهلا مفرقة شملا وجامعة شملا  
يودعها بالشط حرى جوانح وترقبها فى البعد أفئدة جذلى  
فمن راحل بالشط غادر أهله إلى راكب قديم الصجب والأهلا  
ولما قضوا حق العناق وكفكفوا غوارب دمع قد أزالوه فانها  
وأرسل بالقبلا فى الجو مرسل ولوح بالمنديل آخر مفضلا  
تهادت بأهلها تشق طريقها من اليم لم تنكل ولا استقلت ثقلا  
مخلفة ذيلا على الماء مزبدا كما انساب ثعبان من الوكر فانسلا  
وقد شق أجواز الفضاء صغيرها كعمولة ثكلى وهى لا تعرف الشكلا  
وما زال حتى غيب البفر خلفها وغال النوى من خلفها الشط والرملا  
وحتى ترامى الأفق من كل جانب يرد حسيرا ناظر المرء قد كلا  
يمسك نطاسا حولها متجددا وهيات تطويه وإن أمعت عجلي  
وإذ شمرت فى لجة المساء ساقها كفتنا فلم نقل إلى غاية رجلا  
يروح الفتى فيها ويغدو وما درى أقبل فى طامى الأواذى أم ولى  
يدبرها فى رأس جؤجؤها امرؤ خبير بأوضاع الطريق فما ضلا  
خفى كسر كامن فى فؤادها يشارف أجواز العوالم من أعلى  
إذا سايرتها الشمس تبسط ظلها على اليم لم تترك بناحية ظلا



وإن صاحبت بدر الدجى وهو ساكب      سناه آتت في سنى البحر كالشملى  
 كذلك تطوى اليوم والليل بعده      وما استبعدت شأوا ولا استعظمت حملا  
 إلى أن تراءى الثغر في البعد باسطا      ذراعيه فانقادت إلى حضنه مهلا  
 وما هى إلا أن رمت مجموعها      إليه فقابوا فيه وانشعروا مبلا  
 وقرت لسديه تستجم لمقبل      تجالذ فيه الريح والموج والويلا  
 قضت دهرها في رحلة إثر رحلة      نحن إلى ظعن إذا آتست ظعنا

## الجمجمة

وهذه آخر قصيدة بعث بها الشاعر الى مجلة الهلال وقد  
نشرت بعد وفاته في عدد ديسمبر ١٩٤٠ صفحة ٨٩ .

شوهاء حائلة الأوان نكراء  
غشى معارفها من طول ما حملت  
ناهت بعبء الثرى دهرًا وناء بها  
جوفاء مصفرة من فطنة وحجى  
فى العيش زاهدة والخلق قاطبة  
تخال شاخصة الطرفين رائية  
خرساء ليست تحير القول ساهمة  
إنى لأسمع منها وهى صامتة  
نعم وأحسب أنى إذ أحاطبها  
تتلو على النفس من سامى مواعظها  
قصت على تليدا من مآربها  
لعل ذا الرأس قلما كان يعمره  
تحللت فى ثرى قبر عناصره  
وبعثت فى الثرى عليا مطامحه  
أوعل ذا الرأس فى ماضى بشاشته  
كانت تروع النهى قلما معارفه

أبلى محاسنها دهر وآنساء  
من الجتادل والأحقاب إعياء  
من قبل ذاك لهم العيش أعباء  
جدباء خاوية الأركان ظلماء  
بها صدوف عن الدنيا وإغضاء  
وعينها عن سنى الأضواء عشواء  
لها مدى الدهر إنصات وإصغاء  
وعظا من القول يدرىه الأكباء  
تعى خفى خطاين وهى صماء  
عجماء منخوبة الأتياب بكماء  
أتى عليهن لإصباح وإمساء  
سامى ذكاء تنبى عنه صياد  
وأطفئت روعة منه ولألاء  
وكان من دونها بالأمس جوزاء  
ناهت به قامة فى الغيد هيفاء  
وتشتى لفتة منه وإيماء

وكان هذا الفم المقنوت منظره  
 وكان ذا الحجر المشنوء تسكنه  
 وكان غائر هذا الأنف مزدهيا  
 يفر من قبجه دُعراً أحبته  
 لقد سلا وسلوا في الترب وانشعبوا  
 سلت شئون الوري في الرمس جمجمة  
 تخضر نامية من حولها ومن  
 وليس يكرثها في العيش ما فجأت  
 قد أسكت الموت أصداء الحياة بها  
 تبدو به سمة العين غراء  
 دعجاء مرسله الأهذاب حوراء  
 تعلوه أرنية بالحسن شماء  
 لوجاء ينظره اليوم الأحياء  
 ولاذ بالصمت أحباب وأعداء  
 قد بات يسعفها وبل وأنداء  
 إذا تتابع وبل وهى صفراء  
 به البرية سراء وضراء  
 وللرياح بها إن نُحِنَ أصداء



## الفصل الرابع

# الشاعر الناقد

فقرات من مقالاته في النقد والأدب  
تمثل وجهة نظره في الشعر والمجمع

١ - رايه في الشعراء الماجنين من العرب القدامى

٢ - استبداد الملكية والحكام وأثره في تعويق  
الشعر العربي

٣ - اختيار الكلمات والبحر في الشعر وضرورته  
بالنسبة للموضوع



فقرات مختارة من آراء « فخرى أبو السعود » في الأدب  
وصلته بالحياة الاجتماعية

- ٩ -

في مقال نشره بالعدد ١٦٧ من مجلة الرسالة الصادر في ١٤  
سبتمبر ١٩٣٦ صفحة ١٤٩ عن القول المكشوف في الأديين العربي  
والإنجليزي، هاجم الكاتب بعض الشعراء العرب من أمثال عمر بن أبي  
دبيعة، وبيشار، وأبي نواس، وقال عن دواوينهم : « . . إن هي  
إلا استهتار بالقيم ، واستسلام للشهوات ، وتمدح بالمخازي » ثم قال  
عنها إنها « محكمة الديباجة . . بارعة النظم . . متنوعة الأوزان  
والقوافي ، تتخللها حكمة شاردة ، أو مثل سائر ، ليس للتناظم  
فيه إلا فضل التأتق في إعادة صوغه ، فإذا كان هؤلاء وأشباههم  
من فحول الأدب العربي . . فما أقصره عن بلوغ المثل الأعلى  
للأدب . . »

ومدح الكاتب تأديب عمر بن الخطاب ، للحظيئة حين مس أعراض  
الناس ثم قال : « . . ولكن هذا العمل السامي الجليل ، تنوى  
في غمار السياسة وجرفه تيار التكالب على الملك والسلطة ، فلم يعد  
الخليفة أو الأمير يغضب ، إلا أن يناله الشاعر بيلاءته ، فبيشار بن برد  
الذى ضج عليه القوم ودهماؤهم من فجوره وإقذاعه ظل معافي  
ولم يمس بسوء حتى تمادت به جسارته إلى عرض الخليفة ذاته ،  
أما مادام الشاعر ، متقيا غضب الحاكم أو مجتئيا رضاه فلا ضير  
عليه أن يرمى باللؤم أنصار الرسول أو يفضل إبليس على آدم أو  
يتهمك بيوم الحشر أو يتفاخر بشرب الخمر أو يتلهى بسب الرجال وقذف  
المحصنات ، أو يتباهى بالتسلل إلى الخلو في غلس الظلام . . »

ويستطرد في هذا الحديث إلى أن يقول :

« . . إن الحكومة الفردية المستبدة قد حالت دون قيام رأى عام يقف البخارجين على تقاليده بالمرصاد ، بل كثيرا ما حمت الشعراء الماجنين من غضبه . . »

## - ٢ -

وفي مقال بعنوان « أثر نظام الحكم على الأدبين العربي والإنجليزي » وقد نشره الكاتب في العدد ١٧٩ من الرسالة الصادر في ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، جاءت هذه الفقرات وهو هنا يتحدث عن ملوك العرب . :  
ص ١٩٩ وما بعدها .

« . . ولم يكتب الملوك بكف الأدب عن نقد أعمالهم .  
بل انحلوا رجاله أبواقا للتمدح بآثارهم ماصح منها وما بطل ،  
فكما انحلوا من مرتزقة الجند أنصارا لهم على إخضاع الرعية ،  
انحلوا من مرتزقة الشعراء أعوانا على تضليلها ، وقد هبط هنا  
الارتزاق بالأدب عن مكانته السامية درجات . . وحسبك أن يهبط  
الشاعر من قمة الفن والشعور والصدق ، إلى وهدة الشحاذاة والتملق  
والكلب ، وهذه خلال تنزه عنها الأدب الإنجليزي في أغلب عهوده ، لأن  
الشعب لم يمكن الملكية من ابتزاز ثمار اجتهاده وكده ؛ لتبعثرها  
في مظاهر الإبهة الجوفاء ، وتنثرها على المرتزقة من الجند والشعراء  
وفي سبيل استرضاء الحكام واستئثار صلاتهم ؛ لم يحجم كثير من  
الشعراء ، عن امتنان الفن من جهة ، فأذلوا الشعر وملئوه بالكاذب  
وعن امتنان الخلق الكريم من جهة أخرى ، فمدحوا الظالم والقاتل  
مادام في دست الحكم . . . »

ثم استطرد الكاتب في وصف أعمال الحكام والشعراء حتى قال :



» . . وقد اتخذ الخلفاء ، والوزراء ، وسيلة لابتزاز أموال الرعية حتى إذا ما حان الحين . . فتكوا بهم واستصفوا أموالهم . . .  
وعاد بعد فقرات يقول :

» . . ولا ريب أن غيرة الملوكة على سلطانهم المطلق ، كانت من أسباب الانصراف عن ترجمة تراث اليونان الأدبي والتاريخي ، كما ترجم تراثهم الفلسفي إلى العربية . . لأن هذا الأخير ، مشحون بالنظريات والقضايا الخيالية التي لا تتعرض لسلطانهم بسوء ، على حين أن تراث اليونان الأدبي حافل بمظاهر الديمقراطية وآثار اشتراك الشعب في حكم نفسه ، فالملكية أكثر تسامحاً مع العلماء وتشجيعاً للعلوم التي تدرس ظواهر الكون العامة منها إلى الآداب ، التي تترجم عن مشاعر النفوس ، ولا شك في أن اطلاع الإنجليز على آداب الإغريق وتاريخهم كان من عوامل تشبههم بحقوقهم . .

وهكذا كانت الملكية المستبدة من أسباب حرمان الأدب العربي من الأثر اليوناني الذي استفاد منه غيرهم . . .

### - ٣ -

ومن مقال له بعنوان « التصوير في الشعر العربي » بالعدد ٤٤ من الرسالة الصادر في ٧ مايو سنة ١٩٣٤ تناول فيه الأوزان العربية وضرورة حسن اختيار الشاعر البحر والكلمات المناسبة لموضوع قصيدته :  
» . . ونرى البحر الطويل يؤدي الغرض ويرسم صورة رائعة في قول « جميل » ( بثينة )

ولما قضينا من منى كل حاجة      ومسح بالأركان من هو ماسح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا      وسالت بأعناق المطى الأباطح  
فهنا حركة الإبل البطيئة واضحة ماثلة ، وقد كان ( جميل ) ملهما

حيث ذكر كلمة أعناق في البيت الثاني ، فلإنها وحدها ترسم الصورة التي أراد ، فإن ذكر الجزء الأهم من الصورة كثيراً ما يعث إلى المخيلة بباقي الأجزاء ويبرز الصورة جلية كاملة .

ويتروك البحر الطويل مثل هذا الأثر أيضاً في قول البارودي الذي أشار إليه الدكتور صبري في كتابه عن الشاعر ( ونبها وقم الندى في خميلة ) فإذا قرئ هذا الشطربتان وجدنا الوزن يمثل تساقط قطرات الندى متتابعة ، أما الحركة السريعة فيمثلها البحر الكامل ، ومن ذلك قول المتنبي :

أقبلت تبسم والحياد عوايس      ينجين بالخلق المضاعف والقنا  
عقدت سنابكها عليها عشيرا      لو تبتغي عتقا عليه لأمكننا

ففي البيت الثاني نرى مبالغة أخرى من مبالغات المتنبي ، وهي وحدها لا تكاد تؤدي معنى ، لكن البحر الذي صيغت فيه القصيدة يؤدي خيب الحيات خير أداء ، حتى ليكاد يريك توثب الفرسان فوق ظهورها ، ولوحاول الشاعر وصف الحب في البحر الطويل لما استقامت صورته ، ولتكرار الألفاظ أو التعبيرات أحيانا أثر بليغ في إبراز الصور وبعث الأخميلة ، ففي قول ابن هاني الأندلسي :

وصواهل لا الهضب يوم مفازاها      هضب ولا الوعر الحزون حزون  
يوحي تكرار كلمتي : هضب وحزون إلى المخيلة تتابع الهضاب والربا في أثناء عدو الفرس فكأنه يعرض أمام العين شريطا سينمائيا متحركا ، أضيف إلى ذلك صوغ البيت في البحر الكامل ، واختيار الكلمات الفخمة .

وفي قول الأستاذ المازني :

لغظ اليم إذا اليم طما      والتقت فيه هضاب بهضاب

نرى صورة رائمة لجيشان اليم ولا يرجع هنا إلى معنى البيت وحده ولكن إلى وزنه وألفاظه كذلك ، فبحر الرمل يمثل الحركة

المضامير أدق تمثيل ، وتكرار كلمتي الم وهضاب يوحى إلى  
المخيلة تتابع اللجج ، وتكرار حرف الهاء ثلاث مرات في الشطر الثاني  
يزيد الحركة تصويرا وبروزا . .

و«فخرى» في هذا المقال يوجه نقده المر للذين انجهوا إلى اللفظ  
فحسب ووجهوا إليه عنايتهم المطلقة فيقول عنهم إنهم « ولعوا  
بالألاعيب التي سموها محسسات ، وأوغلوا في هذه الغثائات على أجل  
فنون الشعر خطرا كالرثاء والنسب فأسفت وانعدم فيها الحس والشعور  
فرأينا شاعرا ينسب فيقول :

ناظراه فيماجنى فاظراه أو دعاني أمت بما أودعاني

وأخر يتوجع فيقول :

لى مهجة فى التازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وثالث يمدح فيقول :

وإن أقر على رقى أنامله أقر بالرق كتاب الأناام له ..»

ثم يدافع في المقال نفسه عن اللغة العربية وطواعيتها فيقول ،  
« . . وليس في طبيعة اللغة العربية قصور يحول بينها وبين  
مجاراة اللغات الأخرى في هذا الباب بل لها من الميزات ما يقدمها على  
غيرها ، فهي كثيرة البحور التي يؤدي كل منها غرضا مختلفا ،  
غريبة الألفاظ الوعرة الضخمة والرقيقة اللطيفة ، التي توحى بخشونتها  
أو برقتها مختلف الصفات ، غنية بالحروف السلسة اللينة والحروف  
الخشنة الجافية التي تطاوع الناظم التقدير .

ليس يعوز العربية شيء من ذلك وإنما يعوزها الجراءة من  
الناظمين بها والعزم والجلد . . » ويتابع مقالاته في الموضوع فيكتب  
في العدد ٤٩ من الرسالة الصادر في ١١ يونيو ١٩٦٨ ص :

« : إن العرب اتصلوا بالثقافة اليونانية في غير الوقت الملائم ،  
في وقت متأخر كان أدبهم فيه ، قد نضج وقوى وصار له من  
الاعتداد بنفسه ما يشي به عن التلمذ لغيره ، أما الآداب الغربية  
فعرفت تلك الثقافة في عهد طفولتها ونشأتها وهي لما تزل عاجزة ،  
وتتلهف إلى المعرفة حيث وجدت ، فلم تتردد في الانتفاع بتراث  
اليونان إلى أبعد حد فأثرت بما أخذت عن اليونان من المواضيع  
والأشكال الأدبية ، وبذلك وجدت في تاريخ اليونان وأدبهم وأساطيرهم  
وفنونهم من صور وتماثيل وآثار ، متاح للكتابة والدرس والنظم ،  
ومنابع للوعى لا تنضب . » .

## حياة فخرى أبو السعود في سنطور

— ولد فخرى أبو السعود سنة ١٩١٠ وعاش بالقاهرة في عائلة ريفية أصلها من بنها .

— تعشق الأدب العربي صغيراً حتى حفظ ديوان البارودي ومختاراته ، ووعى كثيراً من الشعر القديم : الجاهلي والإسلامي وظهر أثر ذلك في كتاباته التقليدية فيما بعد .

— وبعد أن أتم تعليمه الثانوى التحق بمدرسة المعلمين العليا حيث تخرج فيها سنة ١٩٣١ .

— اشتغل أياماً بالصحافة ثم مدرساً بالتعليم الحر .

— نجح في امتحان أقامته وزارة المعارف لاختيار أحسن العناصر التي تصلح لتدريس اللغة الإنجليزية وإيفادها إلى إنجلترا في بعثة دراسية .

— سافر هو وزميله الأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلى إنجلترا سنة ١٩٣٢ حيث التحقوا بكلية مدينة اكستر في مقاطعة ديفونشير وهناك ترجم رواية : ( تس . سليله آل ديرفيل ) وبعث من هناك بعدد من قصائده إلى « الرسالة » لنشرها ، ويتميز أغلبها بالطابع الوطني الملتهب ، وقد اختلفوا بعضها في ملحق هذا البحث .

— تزوج من زميلة إنجليزية كانت تدرس معه في الكلية وأنجب منها طفلاً وحيداً .

— عاد من إنجلترا في أكتوبر من سنة ١٩٣٤ حيث عين مدرساً للغة الإنجليزية بمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية وظل بها حتى سنة ١٩٣٨ ، وقد نشر في هذه الفترة أكثر إنتاجه الشعرى والنقدى في مجلة الرسالة ، كما أصدر كتابه عن الثورة العراقية :

— انتقل إلى مدرسة الرمل الثانوية بالإسكندرية وكانت قد حدثت جفوة بينه وبين الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير الرسالة ، فانتقل بنشاطه الأدبي والشعري إلى مجلات الثقافة والمقتطف والهلل وإلى صحيفة الأهرام وقد ألف في هذه الفترة كتابين الأول : « الخلافة والسياسة » والثاني دراسة « عن محمود سامي البارودي » وتقدم بهما إلى وزارة المعارف في مسابقة كانت الوزارة قد أعلنت عنها بين المدرسين وفاز فيها « فخري أبو السعود » بجائزتين رئيسيتين ، وقد تسلم جائزتين مائتين مع من فازوا في حفل أقامته الوزارة بدار الأوبرا في أكتوبر من سنة ١٩٣٩ ، وأعلنت الوزارة عن اعتزامها طبع الكتابين ولكنها ظلا في أدراجها إلى الآن .

— سافرت زوجته وابنها لزيارة أهلها بالبحر في أواخر سنة ١٩٣٩ ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حالت دون عودتهما .  
— مات ابنه في حادث غرق سفينة الأطفال الإنجليزية الناهبة إلى كندا وانقطعت أخبار زوجته .

— أطلق النار على رأسه من مسدسه بحديقة داره صبيحة ٢١ أكتوبر ١٩٤٠ وقد نشر ذلك في الرسالة والثقافة وبعض الصحف اليومية والمجلات الصادرة في ذلك العهد .

— قالت أسرته في نعيه الذي نشرته بالأهرام صبيحة ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ إنه مات قضاء وقلدا برصاصة طائشة انطلقت من مسدسه في أثناء محاولته لإصلاحه .

— ترك مجموعة طيبة من المقالات النقدية الممتازة كان الأستاذ أحمد حسن الزيات أعلن أنه سيجمعها في كتاب ولكنها ظلت إلى الآن مطوية ضمن مجلدات الرسالة المحفوظة .

— ترك مجموعة كبيرة من القصائد منشورة في الرسالة والثقافة والهلل والمقتطف والأهرام تكفي لدويان كبير ولسكنه لم يجد السبيل إلى النشر وأرجو أن أوفق لجمعه وتحقيقه إن شاء الله .

## المراجع

- ١ — ذكرياتي ومشاهداتي الشخصية .
- ٢ — روايات بعض المعاصرين من زملاء العمل أو الجيرة .
- ٣ — مقال الدكتور زكي نجيب محمود نشره بمجلة الثقافة العدد ٩٦ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠ .
- ٤ — مقال للأستاذ أحمد فتحي مرسى ، نشره بمجلة الرسالة العدد ٣٨٣ الصادر في ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ .
- ٥ — مقال للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، نشره بمجلة الثقافة العدد ٩٨ الصادر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ . ثم ضمنه كتابه « أعلام من الشرق والغرب » الذى نشرته دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠ .
- ٦ — مقال فى كتاب « تمائيل مكسورة » ضمن سلسلة اقرأ للأستاذ رجاء النقاش .
- ٧ — مجلدات الرسالة منذ صدورها حتى سنة ١٩٣٧ ، وسنة ١٩٤٠ فيها يختص بمقالات زملائه عنه أو رثاء المجلة له .
- ٨ — مجلة الثقافة سنة ١٩٣٩ ، سنة ١٩٤٠
- ٩ — مجلات الهلال والمقتطف وصحيفة الأهرام وقد أشرنا إلى تواريخ صدور المجلات التى رجعنا إليها فى هوامش البحث :

## الحوادث التاريخية

١ - ذكرياتي ومشاهداتي الشخصية :

٢ - بالنسبة للوثائق والنصوص المحددة والأرقام وتحديد التواريخ ،  
رجعت إلى الجزء الثاني من كتاب : « في أعقاب الثورة المصرية » للأستاذ  
عبد الرحمن الرافعي .



# المحتوى

الموضوع	الصفحة
١ — مقدمة	٥
٢ — فخرى أبو السعود والإسكندرية	٩
٣ — مع الشاعر في مأساته	١٣
٤ — الاتجاهات الشعرية عند « فخرى أبو السعود »	٣٥
( أ ) ناثربلا صدى	٣٨
( ب ) حواء والشاعر	٦٢
( ج ) الشاعر الوصاف	٧٤
٥ — مختارات من شعر فخرى أبو السعود	٨٣
( أ ) قصيدة يوم التل	٨٥
( ب ) قصيدة بنى مصر	٨٩
( ج ) « جبل طارق »	٩١
( د ) « فى الخريف »	٩٣
( هـ ) « أهله الأرض ؟ »	٩٥
( و ) « موقف من عطيل »	٩٧
( ز ) « الهندى القديم »	٩٩
( ح ) « السجينة »	١٠١
( ط ) « سل الجليدين »	١٠٢
( ي ) « صايجى هلى الدار »	١٠٤

الموضوع	الصفحة
(ك) قصيدة الموت . . . . .	١٠٦
(ل) و الشعر . . . . .	١٠٧
(م) و الفنى المقرئ . . . . .	١٠٩
(ن) و السفينة . . . . .	١١٠
(س) و الجمجمة . . . . .	١١٢
٦ - فقرات من مقالاته فى النقد والأدب . . . . .	١١٥
(أ) نقد الما جنين من الشعراء العرب . . . . .	١١٧
(ب) أثر نظام الحكم على الشعراء العرب . . . . .	١١٩
(ج) ضرورة اختيار الكلمة فى الشعر العربى . . . . .	١٢٠
٧ - فخرى أبو السعود فى سطور . . . . .	١٢٣



785  
9  
52q

Bibliothèque Alexandrine



0541552

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثلث + ٤ قرشا